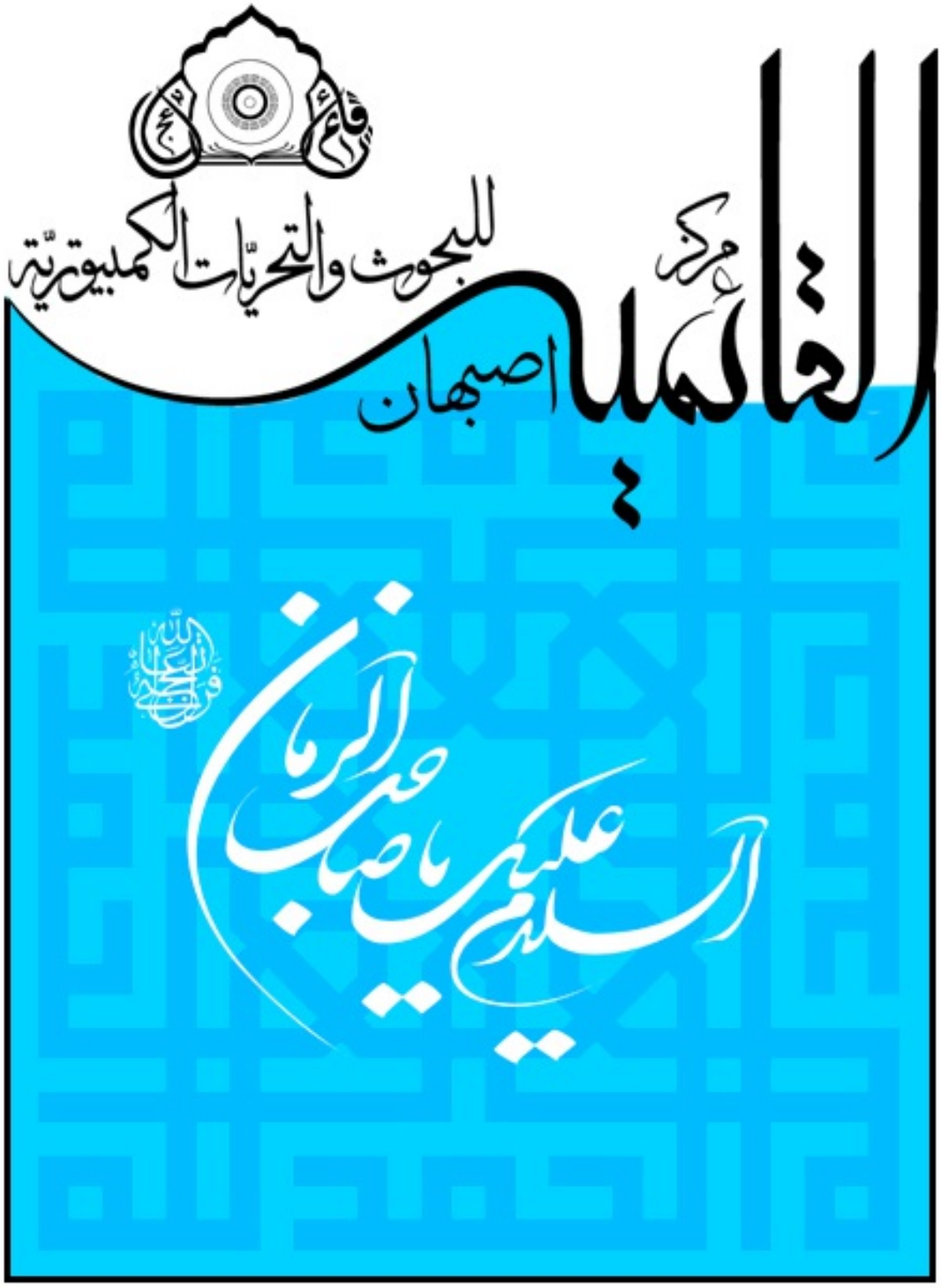

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الزيارة و التوسل

صائب عبدالحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

الزياره و التوسل

كاتب:

صائب عبدالحميد

نشرت فى الطباعة:

مركز الرساله

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الزیاره و التوسل ----- ۹
اشارة ----- ۹
مقدمة المرکز ----- ۹
المقدمة ----- ۱۰
الزیارة وأدلتها ----- ۱۱
الزیارة - مشروعیتها - أهدافها - فضیلتها الزیارة لغة واصطلاحا ----- ۱۱
اشاره ----- ۱۱
الزیارة فی التشریع ----- ۱۱
فی القرآن الکریم ----- ۱۱
فی السنة النبویة ----- ۱۳
النبی و سلم یزور القبور ----- ۱۳
اهداف الزیارة ----- ۱۴
فضل الزیارة و عوائدها علی الزائر والمزور ----- ۱۵
زیارة الرسول و أهل البیت ----- ۱۷
فی الحدیث الشریف زیارة قبر رسول الله ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
الحدیث ۰۰۱ ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
الحدیث بلفظ آخر ----- ۱۸
والکلام ثانیا فی دلالة الحدیث ----- ۱۹
الحدیث ۰۰۲ ----- ۱۹
اشاره ----- ۱۹

وله شواهد ----- ۲۰
الحدیث ۰۰۳ ----- ۲۱
الحدیث ۰۰۴ ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
وهنا مسألتان ----- ۲۱
وللحدیث متابعات ----- ۲۲
وللحدیث شواهد، منها ----- ۲۲
فی حدیث أهل البیت ----- ۲۳
اشاره ----- ۲۳
فی زیارة قبر رسول الله خاصة ----- ۲۳
فی زیارة مراقدهم ----- ۲۳
الزیارة فی تراث السلف ----- ۲۵
اشاره ----- ۲۵
فی عهد الصحابة ----- ۲۵
اشاره ----- ۲۵
الفائدة ----- ۲۷
بعد الصحابة ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
وفیه فائدتان ----- ۲۸
خاتمة فی کلمات أئمة الحنابلة خاصة فی الزیارة ----- ۲۹
التبرک ----- ۳۰
آداب الزیارة ورد الشبهات المثارة حولها ----- ۳۲
آداب الزیارة ----- ۳۲
اشاره ----- ۳۲

استقبال القبر واستدبار القبلة ----- ۳۴
فی آداب زیارة مراقد الأئمة ----- ۳۴
شبهات حول الزیارة ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵
حرمة شد الرحال إلی غیر المساجد الثلاثة ----- ۳۵
ان السفر بقصد الزیارة بدعة ----- ۳۷
ان الزیارة تفضی إلی الشرک ----- ۳۹
التوسل أقسامه وأدلته ----- ۴۰
التوسل لغة واصطلاحا ----- ۴۰
اقسام التوسل ----- ۴۲
اشاره ----- ۴۲
التوسل بالله تعالی ----- ۴۲
التوسل بأسماء الله الحسنی و صفاته جل جلاله ----- ۴۲
التوسل بالثناء علی الله والصلاة علی النبی وآله ----- ۴۳
التوسل بالقرآن الکریم ----- ۴۴
التوسل بالأیام المبارکة ----- ۴۴
التوسل بالاعمال الصالحة ----- ۴۴
التوسل بدعاء الغیر ----- ۴۵
التوسل بالأنبیاء والصالحین ----- ۴۶
التوسل بالأنبیاء والصالحین ----- ۴۶
اشاره ----- ۴۷
التوسل بالأنبیاء والصالحین فی حیاتهم ----- ۴۷
التوسل بالأنبیاء والصالحین بعد موتهم ----- ۴۸
پاورقی ----- ۵۲

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۶۲

الزياره و التوسل

اشارة

سرشناسه : عبدالحميد، صائب

عنوان و نام پديدآور : الزياره و التوسل/ صائب عبدالحميد

مشخصات نشر : قم: مركز الرساله، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ص ۱۶۰

فروست : (سلسله المعارف الاسلاميه۳۸)

شابک : ۹۶۴-۳۱۹-۲۳۸-۵۱۸۰۰ریال ؛ ۹۶۴-۳۱۹-۲۳۸-۵۱۸۰۰ریال

وضعيت فهرست نويسی : فهرستنويسی قبلی

يادداشت : عربی

يادداشت : کتابنامه به‌صورت زيرنويس

موضوع : زيارت

موضوع : توسل

شناسه افزوده : مرکز الرساله

رده بندی کنگره : BP۲۶۲/ع۲ز۹

رده بندی ديويی : ۲۹۷/۷۶

شماره کتابشناسی ملی : م۷۹-۱۶۶۳۶

مقدمة المرکز

الحمد لله رب العالمين.. وصلی الله علی سيدنا محمد وآله الطاهرين.. وبعد.. إن زيارة قبر النبی الأکرم صلی الله عليه وآله وسلم وقبور الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام والأولياء والصالحين من هذه الأمة، وشد الرحال إليها، والتوسل والاستشفاع بهم، تعد من ربات التی ندب الشرع إليها، وقررتها السيرة العملية للرسول صلی الله عليه وآله وسلم وأکدت النصوص الإسلامية عند سائر فرق الأمة علی شرعيتها وثبوتها، ومارسها المسلمون منذ عهد الرسول صلی الله عليه وآله وسلم والصحابة الأولين فالتابعين لهم بإحسان ثم فی أدوارهم المتتابعة إلی يومنا هذا. وليست الزيارة حالة من حالات التعامل الجامد مع أکوام الحجارة والتراب، کما يصفها البعض، وإنما هی صيغة واعية تمارسها الأمة لتعبر عن عمق ارتباطها بخط الأولياء، وتنطوی علی تأصيل حالة الولاء والحب لرموز مسيرتها، وتستبطن مزيدا من العطاءات العقائدية والتاريخية والتربوية التی تشد الأمة إلی عقيدتها وتاريخها وقادتها الرساليين. فمن معطياتها العقائدية أنها تمثل حالة من حالات الانشداد إلی الله سبحانه، ذلک لان الزائر إنما ينوی فی زيارته التقرب إلی الله تعالی، ويشتغل ضمن الآداب المسنونة فی الزيارة بالصلاة والدعاء والتضرع والتوسل وقراءة القرآن وغيرها من الأوراد والآداب التی تعکس حالات الاذعان إلی الإرادة الإلهية القاهرة، و إخلاص العبودية للواحد الحق، [صفحه ۶] فضلا عن أن نصوص الزيارات والأدعية الخاصة بالزيارة، تمثل مدرسة تلقن المسلمين أصول العقيدة الاسلامية والانفتاح علی جميع مفرداتها ومضامينها. ثم إن من القبور ما يمثل معلما من معالم الرسالة وشاهدا من شواهد التاريخ، فزيارة قبر الرسول صلی الله عليه وآله وسلم تعمق علاقة الزائر الروحية بالرسول صلی الله عليه وآله وسلم، وتعزز فهمه لأبعاد شخصيته و مکارم أخلاقه و إخلاصه لله، و دوره فی تبليغ الرسالة و تجسيد معانيها، وتفتح ذاکرته علی تاريخ

الرسالة بكل ما يزخر به من أحداث تعود بوعيه إلى الأصالة التاريخية فى مسيرة الأمة وما فيها من دروس وعبر. ومن معطياتها التربوية أنها تبعث فى نفس الزائر حالة التذكير باليوم الآخر حيث يستحضر فى وعيه حتمية الموت والموقف بين يدى الله تعالى، فيمتلئ وجدانه ومشاعره بفيض من قيم الخير والفضيلة والصلاح، ويندفع باتجاه تنمية نزعات نفسه الخيرة وردعها عن سبيل الغى وترويضها على طلب الخير. ومن معطياتها الجهادية والسياسية استلهام مواقف الجهاد الفاعلة فى تاريخ الإسلام، والتعاطى مع قيم الشجاعة والبطولة، والادانة للسياسات الظالمة فى تاريخ الأمة، والحفاظ على ديمومة العطاء الثورى لدماء الشهداء. من هنا فقد أقدم مركزنا على نشر هذه الدراسة المستوفية والموجزة لتسهم فى تعزيز أدلة الزيارة والتوسل فى ضمير الأمة، والتحقق من كونها سنة ثابتة على طول المسيرة التاريخية، مع ما توفرت عليه من مناقشة علمية جادة لما أثير حولها من شبهات لتكون دافعا يشد الأمة بقدوتها ويربطها بتاريخها المشرق ورسالتها الخالدة. والله سبحانه من وراء القصد وهو المسدد للصواب.. مركز الرسالة [صفحه ۷]

المقدمة

فى مرافئ الحياة، كل مرافئها، أقامت الشريعة السمحة مآذن تحث على خير العمل، ومنابر للدرس والارشاد، ومشاعل تنير الجوانب والمداخل وبين النواحى والأطراف.. ذلك هو شأن الشريعة، وسبيلها إلى مقاصدها فى إحياء الأنفس، ولم شتات المجتمعات، وإعمار الأرض، وتسوية الطريق إلى أحسن العواقب بعد الموت، وبعد فناء الدنيا.. وليست تعرف الشريعة فيصلا بين عبادة المرء ربه، وبين ممارساته شؤونه الخاصة والعامة، فردا له كيانه الخاص، وعضوا فى أسرة وفى مجتمع. فليس فى الشريعة شىء من العبادات أو القربات من شأنه أن ينعزل بالمرء عن تلك المقاصد والسبل.. ليس فيها خرافة يهوم بها الانسان بعيدا عن واقعه كعضو فى مجتمع، وكفرد سائر إلى غاية هى مصيره الأبدى.. ليس فيها ما يحنط مشاعره، ويجمد أحاسيسه، ويميت خلقه.. وكل ما انتهى بالمرء إلى نتائج خطيرة كهذه فهو ليس من الشريعة فى شىء، وإن اتخذ له من بعض أحكامها عنوانا.. و زيارة القبور لا تشذ عن هذه القواعد العامة ولا يخرج عن إطارها، ومثلها [صفحه ۸] التوسل بالأنبياء والصالحين، فإذا كانت الشريعة قد أباحت ذلك، أو حثت عليه، كما ستثبت مباحث هذا الكتاب، فإنه داخل فى إطارها، جار على مسارها، باتجاه أغراضها ومقاصدها. ولما كان للشريعة مسارها، فهى كلما شرعت فعلا، أو أقرته، رسمت له حدودا، ووضعت له آدابا، بها فقط ينضبط هذا الفعل فى مسارها، وسيخرج عن هذا المسار بقدر خروجه عن تلك الحدود والآداب.. كما ستنتزع من الفعل شرعيته إذ ما استبطن غايات أخرى خارجة عن أهداف الشريعة ومقاصدها. وقليل من الناس هم الذين يستحضرون غايات العبادات وأهدافها الكبرى التى تتجاوز حدود الطاعة المتمثلة بالأداء الصحيح لها الملتزم بأحكامها وآدابها، فكم من بين مئات الألوف من الحجيج الذين يؤدون كل عام فريضة الحج، يستحضر وهو يؤدى مناسكه ما فى كل واحدة من هذه المناسك من دروس تربوية وأهداف دينية واجتماعية كبيرة ؟ بل كم من هؤلاء من ينظر إلى الوراء، إذا غاب عنه النظر إلى أمام، ليستحضر المواقف التاريخية الكبيرة التى امتزجت بهذه المناسك منذ تشريعها ؟ والظاهرة ذاتها قريبة جدا فى شأن زيارة القبور، قبور الأنبياء والأئمة الأطهار وكبار الصالحين كانت، أم عموم المقابر، فالزيارة وإن كانت بذاتها ذات أثر شرعى، وأن قصدها لوحدها لا يحبط العمل، بل لا يحرم صاحبه الأجر والثواب، فإن الصحيح أن الشريعة لم تشرع الزيارة لذاتها، بل لعوائد كثيرة تعود على الميت، كما تعود على الحى، وأن من يفقه هذا لهو أفضل بكثير من الطراز الأول، مع فرض تساويهما فى صدق النية وحسن الالتزام بأحكام الشريعة وآدابها. [صفحه ۹] فكم هو شاسع الفرق بين أن يقف المرء عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسكون وهيبة وخشوع، يصلى ويسلم عليه وعلى آله بأكمل الصلوات والتحيات، ويرتل المشروع من الدعاء، عارفا بمقام النبى الكريم، مستحضرا عظمته وعظمة ما أداه من أثر فى إحياء بنى الانسان، مجددا معه عهد الاقتداء بسلوكه العظيم.. وبين أن تغيب عنه كل هذه المعانى الجليلة. فلا بد إذن من فقه بالعبادات، فقه بأحكام الشريعة كلها، الفقه الكافى فى المحافظة على صورتها، كأقرب ما تكون إلى الكمال.. ولابد إلى جانب هذا الفقه من وعى بأبعاد هذه الأحكام وأهدافها ومقاصدها العامة التى لاجلها بالدرجة الأولى شرعت، أو

التى ستنعكس عنها. ومن بين هذه الأهداف المقصودة من وراء الزيارة تركيز ضرورة الاقتداء بهؤلاء العظماء، وتجديد العهد معهم، وتعضيد المعرفة بحقوقهم، ولا شك فى أن هذا الهدف مقصود لوحده فى الشريعة، وقد أمرت به وحثت عليه، وجعلت له أبوابا ومداخل كثيرة، وهذه واحدة من تلك الأبواب والمداخل، بل لعلها من أهمها، لما تزرعه فى الزائر من شعور بالقرب الأكيد من النبى أو الامام المزور. والأمة إنما تحيا بأسباب، ومن أهم أسباب حياتها هو تمجيدها عظمائها، وإحيائها ذكرهم، الامر الذى سيجعلهم أحياء فيها على الدوام، وإن بعدت بهم القرون. وبهذا الفقه والوعى يندفع الضجيج الذى يثيره البعض حول مشروعية الزيارة، بحجة ما يصدر من كثير من الزائرين من أخطاء تمتزج بأعمالهم فى الزيارة، فإذا كانت هذه الأخطاء يجب تجنبها، وهو كذلك، فإنها أيضا لا تكون [صفحه ۱۰] بحال من الأحوال ذريعة إلى تحريم عمل مشروع، كللته الشريعة بأغراض سامية، ووعدت أصحابه بجزيل الثواب إذا ما حفظوا حدوده وآدابه.. وما يقال فى الزيارة يقال فى التوسل والاستشفاع. ومن هنا تأتى أهمية الكتابة فى موضوع كهذا.. فهو موضوع تتعدد فيه أطراف الحوار والجدل، بين الفعل و مشروعيته، و بين فضائله و أهدافه وعوائده، وبين حدود وآداب عرفتها الشريعة ينبغى تجديد الارشاد إليها والتذكير بها، وبين شبهات علقت بأذهان البعض، لسبب أو لآخر، فحاولوا قطع السبيل إلى عمل مشروع، وتشويه صورته، عن خطأ فى الفهم أحيانا وعن تقليد وإصرار واتباع للهوى أحيانا أخرى.. وقد نهض هذا الكتاب بذلك كله فى أوجز عبارة وأركزها.. وقد جاء فى قسمين: تناول الأول منهما مباحث الزيارة فى أربعة فصول. وتناول الثانى مباحث التوسل فى مدخل وفصلين. آملين أن يحقق أغراضه التى من أجلها كتب. والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل. [صفحه ۱۳]

الزيارة وأدلتها

الزيارة – مشروعيتها – أهدافها – فضيلتها الزيارة لغة واصطلاحا

اشاره

الزيارة، من الزور، والزور: أعلى الصدر. وزرت فلانا: تلقيته بزورى، أى بصدرى.. أو قصدت زوره، أى صدره. وزاره يزوره زورا، وزيارة، وزوارة: عاده.. وزار فلان فلانا: مال إليه. والزورة: المرة الواحدة. ورجل زائر، وامرأة زائرة، من قوم زور، وزوار، وزور. والأخيرة اسم للجمع. والزور: الذى يزورك، يقال: رجل زور، وقوم زور، وامرأة زور، ونساء زور، يكون للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد لأنه مصدر.. وفى الحديث: إن لزورك عليك حقا. وقد تزاوروا: زار بعضهم بعضهم. والتزوير: كرامة الزائر، وإكرام المزور للزائر.. يقال: زوروا فلانا: أى [صفحه ۱۴] أكرموه.. وقد زور القوم صاحبهم تزويرا، إذا أحسنوا إليه. وأزاره: حمله على الزيارة. واستزاره: سأله أن يزوره [۱] . وتطلق الزيارة ويراد بها، عندما يبحث عن حكمها، زيارة القبور غالبا.

الزيارة فى التشريع

فى القرآن الكريم

إذا لم يرد فى القرآن الكريم التصريح نصا بالزيارة، فقد وردت فى مضامين أكثر من واحدة من آياته، منها: ۱ – فى قوله تعالى فى شأن أصحاب الكهف ونزاع القوم فيهم بعد أن أماتهم الله: (إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) [۲] . قال المفسرون: ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون، وهذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور. وهذا هو الراجح عند أهل التفسير على قول بعضهم أن الذى غلب هم أصحاب الملك، فهم الذين يغلبون على أمر من عداهم. قالوا: الأول أولى [۳] بل قال بعضهم [صفحه ۱۵] إن الملك

الذى عثر عليهم كان مؤمنا [۴] . وأيا كان القائل فالمسجد إنما يتخذ ليؤتى على الدوام، ينتابه الناس، سواء المعاصرون منهم لقصته أو الأجيال اللاحقة.. وبهذا أصبحت مراقد أصحاب الكهف مزارا يقصده الناس للزيارة، بل أقاموا عليه مسجدا يذكرون اسم الله فيه. ولعل مراقد هؤلاء الفتية المؤمنين، أصحاب الكهف، هى المثال الأسبق تاريخا فى ما ذكره القرآن الكريم لاحترام مراقد الأولياء وتعاهدها بالزيارة، بل إقامة المسجد عندها كما هو صريح القرآن الكريم. ۲ - قوله تعالى فى النهى عن القيام عند قبور المنافقين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) [۵] . لا خلاف فى أن المراد بالصلاة هنا هو خصوص الصلاة على الميت، يدل عليه السياق وسبب النزول، أما موضع الاستدلال لدينا على المطلوب فهو قوله تعالى: (ولا تقم على قبره) فقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد يتجاوز الوقوف عنده وقت الدفن، إلى عموم الأوقات. قال البيضاوى، والآلوسى، والبروسوى: المراد لا تقف عند قبره للدفن أو للزيارة [۶] . فإذا كان هذا النهى قد ورد فى شأن من مات على الكفر، كما هو فى ذيل الآية [صفحه ۱۶] نفسها (إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ففيه دلالة واضحة على أن ذلك جائز، بل ومعهود، فى شأن من مات على الاسلام. إذن ففى هذه الآية أيضا دلالة على مشروعية زيارة قبر المسلم، بقصد الزيارة والدعاء للميت، فهذا هو المعهود فى قيام النبى صلى الله عليه وآله وسلم على قبر الميت بعد دفنه. ۳ - قوله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) [۷] . جاء فى أسباب النزول أن الآية فى صدر الحديث عن المنافقين الذين تتحدث عنهم الآيات السابقة والذين ارتضوا التحاكم إلى الطاغوت فرارا من التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو أنهم جاءوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأظهروا الندم على ما فعلوه، وتابوا عنه واستغفروا منه، واستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتاب الله عليهم. وقيل: إنها نزلت فى قوم من المنافقين، قال الحسن: اثنى عشر رجلا اجتمعوا على أمر مكيدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم دخلوا عليه لذلك الغرض، فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره به، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن قوما دخلوا يريدون أمرا لا ينالونه، فليقوموا وليستغفروا الله حتى استغفر لهم فلم يقوموا، فقال: ألا- تقومون ؟ فلم يفعلوا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى عد اثنى عشر رجلا- فقاموا وقالوا: كنا عزمنا على ما قلت، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا، فاستغفر لنا. فقال: الآن أخرجوا عنى، أنا كنت فى أول أمركم أطيب نفسا بالشفاعة، وكان الله أسرع إلى الإجابة [۸] . [صفحه ۱۷] فهذا ما كان فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، يأتيه المذنب، فيستغفر، ويطلب منه الاستغفار والشفاعة له، ولما ورد فيها من تكريم خاص وإجلال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجد المسلمون استحباب العمل بها بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، فيأتى قبره الشريف، ويستغفر عنده ويسأل صاحبه الشفاعة، ذلك لان إجلال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتكريمه واجب بعد موته كوجوبه فى حياته، والعمل بهذه الآية بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كالعمل بالآية القائلة: (لا- ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول) [۹] حيث مضت سيرة المسلمين على وجوب العمل بها عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والأثر فى ذلك كثير، بحيث كتبت هذه الآية على الجدار المقابل لقبر الرسول اليوم. ومثل ذلك ورد فى الأثر الكثير فى العمل بالآية موضع الاستدلال عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فى عهد الصحابة وبعده، سنورد أمثلة منها فى المباحث اللاحقة، ونكتفى هنا بذكر استدلال مالك بن أنس بالآية فى رده على أبى جعفر المنصور، وهما عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد سأله أبو جعفر المنصور: أستقبل القبلة وأدعوا، أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ ! بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى، قال الله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) [۱۰] وفى مقدمة كلام مالك وأبى جعفر كان مالك قد [صفحه ۱۸] استنكر على أبى جعفر رفعه صوته عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلا: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) ومدح قوما فقال: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية... وذم قوما فقال: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) الآية... وإن حرمته ميتا كحرمته حيا. وعلى هذا قال السبكى: دلت الآية على الحث

على المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد فى حال الحياة، فهى رتبة له لا- تنقطع بموته، تعظيما له. قال: والآية وردت فى أقوام معينين فى حالة الحياة، فتعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف فى الحياة وبعد الموت، ولذلك فهم العلماء من الآية العموم فى الحالتين، واستحبوا لمن أتى قبره صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله تعالى. وحكاية العتبى - وهو من مشايخ الشافعى - مشهورة، وقد شهد أعرابيا جاء إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتلى هذه الآية واستغفر وانصرف.. وقد حكاها المصنفون فى المناسك من جميع المذاهب، والمؤرخون، وكلهم استحسنوها ورأوها من آداب الزائر وما ينبغى له أن يفعله [۱۱] .

فى السنة النبوية

فى هذا المبحث فقرتان: الأولى: فى اثبات مشروعية الزيارة فى السنة النبوية. [صفحه ۱۹] والثانية: ممارسة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لها وأحاديثه الواردة فيها. باستثناء ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى زيارة قبره الشريف خاصة، فقد تكفل بها الفصل الثانى من هذا الكتاب. يلاحظ أن زيارة القبور بشكل عام مرت فى عهد الرسالة بثلاث مراحل [۱۲] : مرحلة الإباحة استمرارا لما كان عليه أهل الشرائع السابقة، كما أشارت إليه آية سورة الكهف، وكما يثبته الحديث النبوى الآتى الذى يضع نهاية لهذه المرحلة، وتبتدئ المرحلة الثانية، وهى مرحلة المنع من الزيارة، وكان هذا المنع معللا كما سيأتى فى الحديث النبوى، وأخيرا مرحلة الإباحة وتجديد العمل بها وفق الآداب التى أقرها الاسلام. هذا التقسيم الثلاثى يستفاد بشكل مباشر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها. أخرجه مسلم والترمذى والنسائى والحاكم والبغوى، وغيرهم [۱۳] . وهو واضح فى أن المسلمين كانوا يزورون القبور، ثم نهاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن زيارتها، ثم أذن لهم بعد ذلك بالزيارة. وفى رواية ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما يتضمن علة النهى أو بعضها، ففيها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ولا تقولوا هجرا [۱۴] . [صفحه ۲۰] والهجر - بضم الهاء - الكلام القبيح الذى ينبغى هجره لقبحه. قال الراغب الأصفهانى: الهجر، الكلام القبيح المهجور لقبحه، وفى الحديث: ولا- تقولوا هجرا.. وأهجر فلان، إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد.. وهجر المريض، إذا أتى ذلك من غير قصد [۱۵] . وفى لسان العرب: الهجر، القبيح من الكلام، والهذيان.. والهجر الاسم من الاهجار، وهو الافحاش، وكذلك إذا أكثر الكلام فى ما لا- ينبغى.. وفى التنزيل العزيز: (مستكبرين به سامرا تهجرون) أى تقولون القبيح. وقرئ (تهجرون) أى تهذون. ثم قال: وأما قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ولا تقولوا هجرا فإن أبا عبيد ذكر عن الكسائى والأصمعى أنهما قالا: الهجر الافحاش فى المنطق، والخنا.. ومعنى الحديث: لا تقولوا فحشا [۱۶] . وفيه دلالة على أن الناس كانوا عند زيارة القبور يقولون ما لا ينبغى من الكلام، فأباح النبى صلى الله عليه وآله وسلم الزيارة، وحرم الهجر من الكلام. يؤيده ويزيده وضوحا وتحديدا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ولا تقولوا ما يسخط الرب [۱۷] . فهى رواية تفسر الهجر بما يسخط الرب. وقد تكون رواية بالمعنى للحديث الأول نفسه. وحديث آخر فى هذا السياق جاء فيه: من أراد أن يزور قبرا [صفحه ۲۱] فليزره، ولا- يقول إلا- خيرا، فإن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى [۱۸] . ومن حديث بريدة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية [۱۹] . وهكذا يؤسس الاسلام لأدب الزيارة، لاغيا ما كان متعارفا فى عادات الجاهلية. وبعد ذلك كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يزور القبور بنفسه، ويعلم المسلمين ماذا يقولون عند زيارتها، فاصلا بين ما ينبغى وبين ما لا ينبغى من القول.

النبى و سلم يزور القبور

۱ - أخرج مسلم، والترمذى، والنسائى، والحاكم، والبغوى حديث بريدة الأسلمى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها تذكر الآخرة [۲۰] . قال الترمذى: وفى الباب عن أبى سعيد، وابن مسعود، وأنس، وأبى هريرة، [صفحه ۲۲] وأم سلمة. وحديث بريدة حديث حسن صحيح [۲۱] ولكلام الترمذى تتمة تأتى فى محلها. وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه ثم حثه على زيارة القبور، دليل صريح على جواز قصد قبر معين بالزيارة. ۲ - أخرج الحاكم عن بريدة، قال: زار النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه فى ألف مقنع، فلم ير باكيا أكثر من يومئذ [۲۲] . قال الذهبى: صحيح على شرطهما - أى البخارى ومسلم -. ومثله عن أبى هريرة: زار النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله [۲۳] . ۳ - من حديث طلحة بن عبيد الله، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة واقم، فلما تدلينا منها وإذا قبور ممحية، قلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه ؟ قال: قبور أصحابنا فلما جئنا قبور الشهداء، قال: هذه قبور إخواننا. الحديث رواه أبو داود فى (السنن) [۲۴] وفيه دلالة صريحة على الخروج بقصد زيارة قبور بعينها، لمنزلة اختصت بها، وليس لأجل التذكير بالآخرة فقط، وإلا لكانت الزيارة لأقرب المقابر فى المدينة وافية بالغرض، أو لوقف صلى الله عليه وآله وسلم عند القبور الأولى التى قال فيها قبور أصحابنا، والحديث كله صريح بأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان قاصدا زيارة قبور الشهداء، وراء حرة واقم، وهى فى طرف [صفحه ۲۳] المدينة الشرقى. وحرة واقم هذه هى التى حصلت فيها وقعة الحرة سنة ۶۳ ه، بين أهل المدينة المنورة وكلهم من الصحابة وأبنائهم، وبين جيش الحاكم الفاجر يزيد بن معاوية. ۴ - ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يخرج مرارا إلى البقيع لزيارة قبور المؤمنين المدفونين هناك، أخرج مسلم من حديث عائشة، أنها قالت: كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين.. الحديث [۲۵] . ۵ - أخرج ابن أبى شيبة: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتى قبور الشهداء بأحد على رأس كل حول، فيقول: السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار [۲۶] . ۶ - وفاطمة فى حياة أبيها: ثبت فى الصحيح عن فاطمة الزهراء البتول عليها السلام انها كانت فى حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخرج فى كل جمعة لزيارة قبر عمها حمزة بن عبد المطلب، فتصلى وتبكى عنده. أخرجه البيهقى، والحاكم [۲۷] ، وقال الحاكم معقبا على الحديث: هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات، وقد استقصيت فى الحث على زيارة القبور تحريا للمشاركة فى الترغيب، وليعلم الشحيح بذنبه أنها سنة مسنونة، وصلى الله على محمد وآله أجمعين [۲۸] . [صفحه ۲۴]

اهداف الزيارة

ماذا يجد الزائر فى سريرته وهو يزور القبور، أو يتوجه لزيارتها ؟ ! ما هى الدوافع التى تحركه صوب هذا الفعل ؟ وعلى نحو أكثر تحديدا، هل عرف التشريع شيئا من الأهداف التى يرجى تحققها من خلال زيارة القبور، أو زيارة قبر بعينه ؟ هذا بدوره إن وجد سيكشف عن فضائل الزيارة وما يرتجى منها من ثمرات فى دنيا المرء وأخراه. إن كل الأهداف المتعلقة بالزيارة هى مستفادة بشكل مباشر من السنة النبوية المطهرة، ومن ذلك يمكن أن نجمل هذه الأهداف بما يلى: ۱ - الخشوع وتذكر الموت والآخرة، وهذه أهداف لا غنى لمؤمن عنها، ومهما كان عليه أن يستحضرها فى كثير من أوقاته، غير أن أشياء بعينها ذات أثر مباشر فى استحضار هذه المعانى، ستكون لها أهميتها الكبيرة بحسب مقدار ما تحققه من ذلك.. ولا شك فى أن الوقوف بين القبور بتأمل، أو عند قبر خاص، له أكبر الأثر فى إحياء تلك المعانى فى القلوب، وعلى نحو ربما لا يضاهيه فيه فعل آخر، إلا تشييع جنازة ميت والوقوف عنده ساعة دفنه. وفى تحقق هذه المعانى من وراء الزيارة جاء حديث نبوى كثير، منه: - قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنى نهيتكم عن زيارة القبور، فمن شاء أن يزور قبرا فليزره، فإنه يرق القلب، ويدمع العين، ويذكر الآخرة.. ولا تقولوا هجرا. أخرجه أحمد والبيهقى، وصححه الحاكم والذهبى [۲۹] . [صفحه ۲۵] - قوله صلى الله عليه وآله وسلم: فزوروا القبور فإنها تذكر - أو تذكركم - الموت. أخرجه مسلم

وأحمد وابن ماجة وأبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم [۳۰] . - وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: زر القبور تذكر بها الآخرة. صححه الحاكم في المستدرك [۳۱] . - وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إني نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإن فيها عبرة. أخرجه أحمد والبيهقي، وصححه الحاكم والذهبي [۳۲] . - قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة. أخرجه ابن ماجة [۳۳] . ۲ - الدعاء للميت: هذا السلوك الأخلاقي الرفيع، الذي يحفظ كرامة المسلم في مجتمعه حتى بعد موته، ويربي في المسلمين روح الإخاء والحب والمودة وأداء حقوق الآخرين التي لا تنقطع برحيلهم من الدنيا، لهو واحد من الجوانب التربوية والاجتماعية الراقية التي تميز بها نظام الأخلاق في الاسلام. ويشغل الدعاء للموتى عند زيارتهم المساحة الأكبر في أدب الزيارة، [صفحه ۲۶] كما هو ملاحظ في النصوص المأثورة في زيارة القبور. - فكثيرا ما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقف عند قبور المسلمين فيقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويأمر أصحابه بذلك متى مروا بالقبور أو قصدوها بالزيارة [۳۴] . - وقال صلى الله عليه وآله وسلم مؤكدا هذا المعنى: نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفارا لهم [۳۵] . - وكثيرا ما جمع صلى الله عليه وآله وسلم بين الهدفين: السلام على الميت، والعبرة، ومنه قوله المشهور والوجيز المذكور أولا- في هذه الفقرة: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. - ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا فزوروا إخوانكم، وسلموا عليهم، فإن فيها عبرة [۳۶] . - وفي المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام الجمع بين الغرضين، فقد كان عليه السلام إذا دخل المقبرة قال: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، من المؤمنين والمؤمنات.. اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم.. الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتا، أحياء وأمواتا، والحمد لله الذي منها خلقنا.. وإليها معادنا، وعليها يحشرنا.. طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل [صفحه ۲۷] الحسنات، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله عز وجل [۳۷] . ۳ - أداء حقوق الموتى: وهذا ما نلحظه بوضوح في فحوى الخطاب في الحديث النبوي الشريف الآنف الذكر: ألا فزوروا إخوانكم، وسلموا عليهم ففيه إشارة في غاية الوضوح إلى أن لإخواننا الموتى حقوقا علينا، ينبغي علينا أداؤها بزيارتهم والتسليم عليهم، ولمزيد من الترغيب في ذلك يذكرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن ذلك سيعود علينا أيضا بالنفع الكبير: فإن فيها عبرة. ولا شك في أن لبعض الموتى حقوقا خاصة على البعض، تتأكد معها الزيارة، وكلما تعاظمت الحقوق أصبح لهذه الزيارة شأن أكبر ومرتبة أرفع.. ولا شك في أن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبناء أمته أثبت الحقوق وأعظمها، الامر الذي يجعل قصد أحدهم زيارته صلى الله عليه وآله وسلم من القربات المهمة في حياته. وهذا ما أكده حديث أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن: فعن الإمام الرضا عليه السلام: إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائهم وشيعتهم، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء، زيارة قبورهم.. الحديث [۳۸] . ۴ - قصد القربى والثواب: القربى والثواب، المترتبان قطعا، مع خلوص النية وصحة الفعل، على الزيارة التي يؤديها المسلم تحت أي واحد من العناوين المتقدمة، قد يكون هو الآخر بنفسه غرضا للزيارة وعنوانا لها، فيقصد المسلم التقرب إلى الله تعالى ونيل الثواب بزيارة قبور المؤمنين، أو قبر واحد بعينه. وذلك لما انطوت عليه الزيارة من فضائل ومستحبات لا تنفصل عنها. [صفحه ۲۸] فالزيارة وإن كانت بقصد القربى فإن مقاصدها الرئيسية الثلاثة متحققة فيها على أي حال، من العبرة، والدعاء للميت، وأداء حقه. أما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين فهي من القربات الأكيدة، كما ستأتي في ذلك الأحاديث الشريفة وكلمات الاعلام من علماء المسلمين. وفي (شفاء السقام) جعل الزيارة من حيث مقاصد الزائرين أربعة أقسام، فذكر الثلاثة الأولى التي استفدناها نحن من الحديث الشريف مباشرة، ثم جعل الرابع: التبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح والخير.. وقال: مقصودنا أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين للتبرك بهم مشروعة، وقد صرح به [۳۹] .

فضل الزيارة و عوائدها على الزائر والمزور

هكذا تعود الزيارة بفضائل جمة على الفرد الزائر، وعلى المجتمع الذى تسود فيه هذه القربة، من خلال تحقيق فرصة لا غنى عنها فى احياء القلوب بذكر الله تعالى، وبذكر الموت والآخرة، وعلى مستوى قد لا يحققه شيء آخر إلا نادرا.. وفى هذا المعنى جاء حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه [۴۰] . وتحقق، من ناحية أخرى، روح احترام حقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، [صفحه ۲۹] أحياء وأمواتا، وأدائها. ولهذا ما لا يخفى من الآثار الايجابية على الفرد والمجتمع. ومن ناحية ثالثة فإن زيارة الأنبياء والأئمة والصالحين تزيد وتعمق أواصر الارتباط بهم، وتجدد فى النفوس روح الاقتداء بهم، وإحياء آثارهم الجليلة على الانسانية، وأعمالهم الصالحة، ومكارم أخلاقهم.. وقد لا ينهض أى عمل آخر بما تنهض به الزيارة من تقوية شعور الزائر بقربه من المزور، وما يوفره ذلك من مقدمات الاقتداء التام، وإحياء الذكر على الدوام. ومن ناحية رابعة فإن تعهد أضرحة الأنبياء والصالحين بالزيارة سيضمن الاعتناء بهذه الأضرحة وعمارتها، وبالإضافة إلى ما يحققه ذلك من ذكرى فى القلوب، فإنه يعد علامة واضحة على حياة الأمة وعمق اتصالها بقادتها الذين بذلوا حياتهم فى صناعة مجدها وماضيها، وهذه من المعالم الحضارية المهمة التى تعنى بها سائر الأمم. هذا غير الثواب الجزيل الذى يعود على الزائر من زيارته التى يرعى فيها السنن والآداب التى وضعها الاسلام لهذه القربة: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من مر على المقابر فقرأ قل هو الله أحد إحدى عشر مرة، ثم وهب أجرها للأموات، أعطى من الاجر بعدد الأموات [۴۱] . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: من زار قبر أبويه أو أحدهما كل جمعة غفر له [۴۲] . وأخرج ابن أبى شيبة عن الحسن البصرى أنه قال: من دخل المقابر، فقال: اللهم رب هذه الأجساد البالية، والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك [صفحه ۳۰] مؤمنة، أدخل بها روحا من عندك وسلاما منى استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم. وعن ابن أبى الدنيا أنه من قال ذلك كتب له بعدد من مات من ولد آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات [۴۳] . هذه بإيجاز صورة عن فضائل الزيارة وعوائدها على الزائر، وسيأتى لاحقا حديث كثير فى فضل زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار، والتى من أبرزها نيل شفاعتهم يوم القيامة.. وأكبر بها من عائدة. أما عوائد الزيارة على الأموات فهى من أهم ما أوصت به الشريعة أداء لحقهم، لما ينالهم منها من فضل وبركات. وقد تقدم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يأمر أصحابه بزيارة قبور إخوانهم وأن يجعلوا زيارتهم دعاء للأموات واستغفارا لهم، وقد كان هو صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك. وفى حديث أنس بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من دخل المقابر وقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ العذاب، ورفعه. وعن أنس أيضا أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا، ونحج عنهم، وندعو لهم، فهل يصل ذلك إليهم ؟ فقال: نعم، ليصل ذلك إليهم، ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدى إليه [۴۴] . ومن حديث عثمان بن عفان: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: استغفروا لأخيكم وسلوا الله له التثبيت، فإنه الآن يسأل [صفحه ۳۱] صححه الحاكم والذهبى [۴۵] . والحديث فى هذا الشأن كثير وكثير، وهو يعطف بنا على موضوع مهم، موضوع ليس فيه خلاف بين أهل الأديان قاطبة، ألا وهو موضوع الحياة بعد الموت، وما اصطلح عليه بالبرزخ. والذى عليه اتفاق كلمة المسلمين أن الروح فى البرزخ تعيش نصيبها من الآخرة، إما فى نعيم، وإما فى شقاء، وذلك منذ المساءلة بعد الموت، وحتى يوم البعث والنشور. وقد تحدث القرآن الكريم عن حقيقة حياة الشهداء بعد موتهم، فقال: (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون – فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [۴۶] . وقال تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) [۴۷] . والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما من أحد منكم يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام [۴۸] . وليس الامر خاصا بالأنبياء والشهداء، فالأرواح من حيث هى أرواح سواء فى ما تتعرض له من أسباب البقاء، والاخبار متواترة فى تعرضها للنعيم أو الشقاء [صفحه ۳۲] بعد الموت، تأنس إذا ذكرت بخير، ويعود عليها ما يهدى إليها من الأعمال الصالحة بالنفع والبركة – والحديث فى هذا كثير وكثير – نذكر غير ما تقدم: – قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به [۴۹] . – وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من

أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليها إلا عرفه ورد عليه السلام [۵۰] . - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاءه رجل فسأله: إن أبى مات وعليه حجة الاسلام، أفأحج عنه ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: أرأيت لو أن أباك ترك دينا عليه، أقضيته عنه ؟ قال: نعم. قال: فاحجج عن أبيك [۵۱] . هكذا ينتفع موتانا بدعائنا واستغفارنا لهم، وما نهديه إليهم من ثواب الأعمال الصالحة، ويستأنسون بالتسليم عليهم، وبقراءة القرآن عندهم، فما أحرى أن نذكرهم بذلك كله، ونحن المحتاجون إلى مثله فى غد، ولا ندرى لعله منا قريب، ومهما بعد عنا فإننا سائرون إليه وإنه لبالغنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون. [صفحه ۳۳]

زيارة الرسول و أهل البيت

فى الحديث الشريف زيارة قبر رسول الله

اشاره

إذا كان فى زيارة الميت من تجديد العهد معه والاحساس بالقرب منه ما لا يخفى من الأثر، وإذا كان فى زيارة العظماء إحياء لروح التأسى والاقتداء.. فإن ذلك كله أولى أن يكون مع سيد البشر وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الهداة من أهل بيته الذين أمر بحبهم والاقتداء بهم.. وإذا كان فى زيارة القبور عائدة ثواب على الزائر، فإنها فى زيارة النبى وآله أكبر وأكبر. وفى كل هذه الابعاد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم وعنهم عليهم السلام حديث كثير، يعلمون الأمة فيه شيئا من آداب الاسلام ومن مفاتح أبواب الخير. وربما وقع الكلام فى أسانيد بعض هذه الأحاديث، مما اضطرنا إلى الإطالة [صفحه ۳۴] نسبيا فى مناقشة أسانيد وطرق ما اعتمدناه هنا، حتى إذا حققنا القدر الكافى من الدلالة على صحة الاحتجاج بهذه الأحاديث، ملنا إلى الاختصار والتركيز. ونبدأ هنا بما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى زيارة قبره الشريف:

الحديث ۰۰۱

اشاره

قال صلى الله عليه وآله وسلم: من زار قبرى وجبت له شفاعتى [۵۲] . والكلام أولا فى سند الحديث: قال الدارقطنى: حدثنا القاضى المحاملى، ثنا عبيد بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحديث.. وهذا الاسناد صحيح، رجاله ثقات، بلا خلاف، وإنما وقع الكلام فى عبيد الله بن عمر، وهو ثقة أيضا، غير أن بعضهم رواه عن عبد الله، أخى عبيد الله، وهو دون أخيه [۵۳] ، وبهذا تمسك من ذهب إلى تضعيف الحديث. غير أن الثابت فى جميع نسخ سنن الدارقطنى عبيد الله مصغرا، وهكذا رواه الدارقطنى فى غير السنن أيضا، وكذلك أورده أبو اليمن زيد ابن الحسن فى كتابه (إتحاف الزائر وإطراف المقيم المسافر فى زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). وهكذا [صفحه ۳۵] رواه أيضا الحافظ أبو الحسين القرشى فى كتابه (الدلائل المبينة فى فضائل المدينة). وهكذا أيضا رواه الخلعى عن الدارقطنى، وأورده ابن عساكر عن الخلعى، كلهم يذكرون عبيد الله مصغرا. فاتفقت الرواية بهذا الاسناد عن عبيد الله [۵۴] . وهكذا فى رواية البيهقى بإسناده الذى يلتقى مع إسناد الدارقطنى فى عبيد بن محمد الوراق، وفيه عبيد الله المصغر [۵۵] . وعبيد الله هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، من صغار التابعين، ولد بعد سنة ۷۰ ه، سمع الحديث من سالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبى بكر، ونافع مولى عمر، وكان ملازما له، وقد سئل أحمد ابن حنبل عن مالك بن أنس، وأيوب

السختیانی، وعبید الله بن عمر، أیهم أثبت فی نافع ؟ قال: عبید الله أثبتهم وأحفظهم وأکثرهم روایة [۵۶] . وقد ورد الحدیث بنحو هذا اللفظ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب من طریق آخر، أخرجه البزار فی مسنده، قال: حدثنا قتیبة، ثنا عبد الله بن إبراهیم الغفاری، ثنا عبد الرحمن بن زید، عن أبیه، عن ابن عمر، قال، قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من زار قبری حلت له شفاعتی. قال الهیثمی: وفیه عبد الله بن إبراهیم الغفاری، وهو ضعیف [۵۷] . والغریب من الحافظ ابن کثیر وهو یتصدی لجمع المسانید والسنن أنه لا [صفحه ۳۶] یروی هذا الحدیث فی مسند ابن عمر إلا ـ من هذا الطریق، طریق عبد الله بن إبراهیم الغفاری، ویترک الطریق الذی اعتمده الدارقطنی، والآخر الذی اعتمده البیهقی [۵۸] ، أما محقق کتاب ابن کثیر، هذا، فلم یزد علی أن أورد تعلیقة الهیثمی فی تضعیف الغفاری، دون أن یذکر طریقا آخر للحدیث [۵۹] . وأما صاحب (موسوعة أطراف الحدیث النبوی الشریف) فقد أخرج الحدیث بلفظه عن سنن الدارقطنی، و (الکنی والأسماء) للدولابی، و (مجمع الزوائد) للهیثمی، و (تلخیص الحبیر) لابن حجر، و (الدر المنثور) للسیوطی، و (إتحاف السادة المتقین) للزبیدی، و (کنز العمال) للمتقی الهندی، و (تذکرة الموضوعات) للفتنی، و (الدرر المنتثرة فی الأحادیث المشتهرة) للسیوطی، و (الکامل فی الضعفاء) لابن عدی [۶۰] ولم یشر إلی روایة البیهقی فی (السنن الکبری) ولا فی (شعب الایمان) المؤیدة لروایة الدارقطنی، وهما من مصادر کتابه [۶۱] .

الحدیث بلفظ آخر

وقد جاء بإسناد آخر، وبلفظ مقارب جدا للأول، وفیه عبید الله المصغر أیضا: قال السبکی: ورواه عن موسی بن هلال جماعة، منهم: جعفر بن محمد البزوری: قال العقیلی فی کتابه: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمی، ثنا جعفر بن محمد [صفحه ۳۷] البزوری، ثنا موسی بن هلال البصری، عن عبید الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من زار قبری فقد وجبت له شفاعتی قال السبکی: هکذا رأیته فی نسخة عبید الله [۶۲] . غیر أن الطبعة المحققة من کتاب العقیلی (الضعفاء الکبیر) قد جاء فیها عبد الله مکبرا، دون أن یشار إلی النسخة التی فیها عبید الله [۶۳] . وقد روی بعضهم هذا النص عن عبد الله، وفیها: محمد بن إسماعیل بن سمرة الأحمسی، ثنا موسی بن هلال العبدی، عن عبد الله ابن عمر بالتکبیر، فرده جماعة، منهم الحافظ یحیی بن علی القرشی، وذکر أن الصواب عبید الله. ومنهم: الحافظ ابن عساکر، قال: المحفوظ عن ابن سمرة عبید الله [۶۴] . ویشهد لذلک کله روایة مسلمة الجهنی عن عبید الله العمری المصغر: أخرج الطبرانی عن مسلمة بن سالم الجهنی: حدثنی عبید الله بن عمر، عن نافع، عن سالم، عن ابن عمر، قال، قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: من جاءنی زائرا، لا تعمله حاجة إلا زیارتی، کان حقا علی أن أکون له شفیعا یوم القیامة [۶۵] . وذکره آخرون بهذا الاسناد، منهم: یحیی بن علی القرشی، عن الخلعی. وصححه سعید بن السکن [۶۶] وحدیث مسلمة الجهنی أخرجه ابن کثیر وذکر فیه عبد الله بدل عبید الله [۶۷] . [صفحه ۳۸] وأخرجه الهیثمی أیضا، واکتفی فی التعلیق علیه بالقول: فیه مسلمة بن سالم وهو ضعیف. ومنه یظهر أن الذی عند الهیثمی عبید الله الثقة، ولذا اکتفی بتضعیف مسلمة ولم یذکر عبد الله، ولو کان قد وقع فی إسناده لما ترک ذکره، ولما اکتفی فی تضعیف الحدیث بتضعیف أحد رواته دون الآخر. وضعف مسلمة لا یقدح فی کونه قد رواه عن عبید الله، فلم یکن مسلمة مدلسا، ولا وضاعا، غایة ما فی الأمر أنه لم یتقن الحفظ، أو نحو ذلک من أسباب التضعیف. من کل هذا تصبح الروایة عن عبید الله هی الراجحة، وبعد هذا فإن الجمع بین الروایتین ممکن جدا، فلا مانع من أن یکون بعضهم قد روی الحدیث عن عبد الله مرة، وعن عبید الله مرة أخری، فهما أخوان عاشا فی طبقة واحدة، وکلاهما حدث عن نافع، غایة ما فی الأمر أن عبید الله أرفع درجة وأثبت فی الحدیث من أخیه. ومع هذا فلم یکن عبد الله عندهم ساقط الحدیث أو متروکا، بل فیهم من مدحه وأثنی علیه: فقد قال فیه أحمد بن حنبل: صالح. وقال أبو حاتم: رأیت أحمد بن حنبل یحسن الثناء علیه. وقال ابن عدی: لا بأس به، صدوق. وقال یحیی بن معین: لیس به بأس، یکتب حدیثه، وقال: إنه فی نافع صالح. وفی القول الأخیر تزکیة خاصة لأحادیثه عن نافع،

وهذا الحديث منها. وقال ابن عمار الموصلى: لم يزكه أحد إلا يحيى بن سعيد.. وقال أحمد بن يونس: لو رأيت هيأته لعرفت أنه ثقة.. وقال الخليلى: ثقة، غير أن الحفاظ لم يرضوا [صفحه ۳۹] حفظه، وقول ابن معين فيه إنه صويلح، إنما حكاه عن إسحاق الكوسج، وأما عثمان الدارمى فقال عن ابن معين: صالح ثقة. وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه الصلاح حتى غلب على ضبط الاخبار والحفظ للآثار، تقع المناكير فى روايته، فلما فحش خطؤه استحق الترك [۶۸] . وهذا غاية ما قيل فيه من التضعيف، غير أنه معارض بما سبق أولا- وبالخصوص فى أحاديثه عن نافع، ومردود ثانيا بإخراج مسلم له مقرونا بغيره، فى المتابعات [۶۹] ، كما أخرج حديثه أصحاب السنن الأربعة. وقد أورد له ابن أبى شيبة فى مسنده حديثا، فقال: هذا حديث حسن الاسناد [۷۰] . وعلى هذا فالحديث فى درجة الصحيح، وإذا انحصرت روايته فى عبد الله وحده فهو حديث حسن، لا ينزل عن هذه الدرجة، والعمل بالحديث الحسن مما لا خلاف فيه. ويشهد لذلك أيضا ما نقله السبكى عن عبد الحق [۷۱] ، قال: رواه عبد الحق رحمه الله فى الاحكام الوسطى والصغرى وسكت عنه، وقد قال فى خطبة الاحكام الصغرى إنه تخيرها صحيحة الاسناد، معروفة عند النقاد، قد نقلها الاثبات، وتداولها الثقات. وقال فى خطبة الوسطى وهى المشهورة اليوم بالكبرى: إن سكوته عن [صفحه ۴۰] الحديث دليل على صحته [۷۲] . تلخص لدينا من هذا البحث أربعة أحاديث يقوى بعضها بعضا، وهى: ۱ - من زار قبرى وجبت له شفاعتى وهو حديث صحيح، أو حسن. ۲ - من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى. ۳ - من جاءنى زائرا، لا- تعمله حاجة إلا- زيارتى، كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة. والأحاديث الثلاثة مروية عن عبيد الله المصغر بطرق عديدة، ومثلها عن عبد الله. ۴ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من زار قبرى حلت له شفاعتى وهو المحفوظ من رواية عبد الله بن إبراهيم الغفارى. وفى الباب حديث خامس عن ابن عمر أيضا، رواه الدارقطنى فى سننه وفى العلل، وأحمد فى مسنده: ۵ - عن جعفر بن محمد الواسطى، ثنا موسى بن هارون، ثنا محمد بن حسن الختلى، ثنا عبد الرحمن بن المبارك، ثنا عون بن موسى، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من زارنى إلى المدينة كنت له شفيعا وشهيدا [۷۳] . وقال موسى بن هارون، وهو الرجل الثانى فى سند الحديث: ورواه إبراهيم [صفحه ۴۱] ابن الحجاج، عن وهب، عن أيوب، عن نافع مرسلا [۷۴] . هذا من حيث إسناد الحديث وتوابعه وشواهده.

والكلام ثانيا فى دلالة الحديث

ولا- غموض فى دلالة هذا الحديث وشواهده، ولا- غبار عليها، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: وجبت أو حلت معناه ثبتت وحقت ولزمت، وأنه لابد منها. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وجبت له شفاعتى أو ما جاء فى نحو هذا اللفظ يعنى أن الزائرين سيدخلون لزوما فى من تناله شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، وهذا المعنى يتضمن البشرى بأن زائر قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان صادقا فى قصده لن يموت إلا- على الاسلام. ونعمت البشرى... أو أن يراد به الزائر لقبره قربة واحتسابا تناله شفاعة خاصة، غير تلك الشفاعة العامة التى تنال عموم المسلمين، بسبب الزيارة وبفضلها. وفى كلا الدلالتين من الفوز والفضل الكبير ما هو جدير فى احتلال مكانة مهمة فى اهتمامات المؤمن، وهو يتحرى القربة عند الله والزلفى لديه، انه لفوز حقيق أن يتنافس فيه المتنافسون.

الحديث ۰۰۲

اشاره

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من زارنى بعد موتى كان كمن هاجر إلى فى حياتى، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إلى بالسلام، فإنه يبلغنى. [صفحه ۴۲] من حديث الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، رواه الإمام جعفر الصادق عن آبائه، عن على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الشيخ الطوسى: محمد ابن أحمد بن داود [۷۵] عن أبى أحمد إسماعيل بن عيسى بن محمد المؤدب [۷۶] ، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد الله القرشى [۷۷] ، قال: حدثنا محمد بن محمد بن الأشعث بن هيثم بمصر [۷۸] ، قال: حدثنا أبو الحسن موسى [۷۹] بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين عليه السلام قال: حدثنى أبى، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن على عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من زار قبرى بعد موتى كان كمن هاجر إلى فى حياتى، فإن لم تستطيعوا، فابعثوا إلى بالسلام فإنه يبلغنى [۸۰] . وهذا حديث إسناده جيد، فهو حديث حسن إن لم يكن صحيحا، لعدم التصريح بوثاقة إسماعيل المؤدب وإبراهيم القرشى، فهو حديث قائم بنفسه صالح للاحتجاج على ما تضمنه من استحباب زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وله شواهد

الأول: شاهد قوى من حديث حاطب بن أبى بلتعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: [صفحه ۴۳] من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى. رواه الدارقطنى عن أبى عبيد، والقاضى أبى عبد الله، وابن مخلد، قالوا: ثنا محمد بن الوليد البسرى، ثنا وكيع، ثنا خالد بن أبى خالد وأبو عون، عن الشعبى والأسود بن ميمون، عن هارون بن قزعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة [۸۱] . وهكذا رواه البيهقى فى (السنن) و (شعب الايمان) والشوكانى فى (نيل الأوطار) [۸۲] . وقد جاء الحديث بهذا الاسناد المضاعف فى كثير من مراتبه، معرفا بالرجل من آل حاطب، أخرجه ابن عساكر بالاسناد نفسه: ثنا وكيع بن الجراح، عن خالد وابن عون، عن هارون بن قزعة مولى حاطب، عن حاطب [۸۳] . وعن هذا الحديث قال الذهبى: إنه أجود أحاديث الزيارة إسنادا. وأقره السخاوى فى المقاصد الحسنة والسيوطى فى الدرر المنتثرة [۸۴] . والثانى: حديث الإمام على عليه السلام أيضا: أخرجه أبو الحسين يحيى بن الحسن ابن جعفر الحسينى فى كتاب أخبار المدينة قال: ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنى أبو أحمد الهمدانى، ثنا النعمان بن شبل، ثنا محمد بن الفضل سنة ست وسبعين، عن جابر، عن محمد بن على، عن على عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من زار [صفحه ۴۴] قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن لم يزرنى فكأنما جفانى [۸۵] . فالحديث شاهد قوى للأول، وإنما جاءه ضعف الاسناد من النعمان ابن شبل. الثالث: حديث أبى هريرة: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حى، ومن زارنى كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة [۸۶] . وفى الباب ما أخرجه أبو داود بإسناده عن سوار بن ميمون، عن رجل من آل عمر، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من زار قبرى أو قال: من زارنى كنت له شفيعا أو قال: شهيدا الحديث [۸۷] . وأخرجه الدارقطنى والبيهقى أيضا [۸۸] . وسوار بن ميمون روى عنه شعبة، ورواية شعبة عنه دليل على وثاقته عنده، كما هو الأصل عند شعبة. بقى الكلام فى جهالة رجل من آل عمر والامر فيه - كما يقول السبكى - قريب، لا سيما فى هذه الطبقة التى هى طبقة التابعين [۸۹] . ومن طريق آخر: ثنا هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطاب، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة. أخرجه البيهقى فى شعب الايمان والعقيلى فى الضعفاء الكبير. [صفحه ۴۵] وهارون بن قزعة ذكره ابن حبان فى الثقات [۹۰] وحين ذكره العقيلى فى الضعفاء لم يزد عن أن نقل فيه قول البخارى: لا يتابع عليه [۹۱] . وقد قيل إن فى هذا الاسناد تصحيفا، فهو رجل من آل حاطب [۹۲] كالذى أوردناه أولا عن الدارقطنى من رواية هارون بن قزعة نفسه عن رجل من آل حاطب، عن حاطب.

الحديث ۰۰۳

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا. من حديث أنس بن مالك، أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى وابن الجوزى والشوكانى وغيرهم. قال ابن أبى الدنيا: حدثنى سعيد بن عثمان الجرجانى، ثنا محمد بن إسماعيل ابن أبى فديك، أخبرنى أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبى، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وفى رواية: كنت له شهيدا أو قال: شفيعا. نقل ابن الجوزى حديث ابن أبى الدنيا هذا فى كتابه مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ومن خطه نقله السبكى [۹۳] . [صفحه ۴۶] وأخرجه البيهقى بإسناده ويلتقى مع الأول فى إسماعيل بن أبى فديك، عن سليمان بن يزيد الكعبى، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارنى محتسبا إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة [۹۴] . وللحديث إسناد آخر، فيه: أبو عوانة موسى بن يوسف القطان، ثنا عباد بن موسى الختلى، ثنا ابن أبى فديك، عن سليمان بن يزيد الكعبى عن أنس بن مالك، مطابقا للنص الأول. فدارت الطرق الثلاثة على ابن أبى فديك، وسليمان بن يزيد الكعبى، فأما سليمان الكعبى، وهو التابعى الراوى عن أنس، فقد طعن عليه أبو حاتم الرازى، فقال: منكر الحديث، ليس بقوى، غير أن ابن حبان ذكره فى الثقات [۹۵] . وأما محمد بن إسماعيل بن أبى فديك فهو مجمع على وثاقته [۹۶] . ومن هنا فإن هذا الحديث لا يهبط عن درجة الحسن الغريب. وله بعد ذلك شواهد، منها: ۱ - حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام بإسناده، قال: قال رسول الله عليه السلام : من أتانى زائرا كنت شفيعه يوم القيامة [۹۷] . ۲ - حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى [صفحه ۴۷] فى حياتى، ومن زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا - أو قال - شفيعا، أخرجه العقيلى [۹۸] . ۳ - حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من زارنى إلى المدينة كنت له شهيدا - أو - شفيعا. أخرجه الدارقطنى فى السنن [۹۹] .

الحديث ۰۰۴

اشاره

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من حج فزار قبرى بعد وفاتى، فكأنما زارنى فى حياتى. أخرجه الدارقطنى فى السنن من حديث مجاهد عن ابن عمر [۱۰۰] ، وبالاسناد نفسه أخرجه: البيهقى والطبرانى، وأبو يعلى، وابن عساكر، والشوكانى [۱۰۱] ، كلهم بالاسناد عن: أبى الربيع الزهرانى، عن حفص بن أبى داود، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وليس فى أحد من رجال إسناد هذا الحديث من كلام، فأما حفص بن أبى داود، وهو حفص بن سليمان القارئ صاحب القراءة المعتمدة عند سائر المسلمين، والمعروفة بقراءة حفص عن عاصم فهو أخص الناس بعاصم بن أبى النجود شيخ أصحاب القراءات. وقد مال بعض أهل الجرح والتعديل إلى تضعيف عاصم فى الرواية، وهو أمر [صفحه ۴۸] مستغرب، إذ كيف اعتمدوا بكل اطمئنان وبالاجماع، راويته لقراءة القرآن كله عن عاصم، ثم يعدونه فى الضعفاء فى رواية الحديث ؟ ! فقد ذكره ابن عدى فى الضعفاء، قال البيهقى بعد أن أخرج الحديث: تفرد به عاصم، وهو ضعيف. وضعفه ابن حبان أيضا [۱۰۲] .

وهنا مسألتان

الأولى: إن الضعف المنسوب إلى حفص بن سليمان لا يتجاوز حدود الضبط، أو الرواية عن الضعفاء، لكنه قد أسند هذا الحديث إلى ثقات مجمع على وثاقتهم عند أهل الجرح والتعديل: ليث بن أبى سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر. وبه تزول الشبهة الثانية، أما الأولى فإنها مهما بلغت فلا تصل إلى درجة الكذب والوضع، كيف وقد أجمعوا على قبول روايته قراءة عاصم وأطبقت عليه الأمة ؟ والمسألة الثانية: إن ابن حبان ذكر رجلين باسم حفص بن سليمان، أحدهما المقرئ وهو هذا، والآخر حفص بن سليمان، وهو ابن أبى داود المذكور فى الاسناد، وهو ثقة ثبت. قال السبكى: فإن صح مقتضى كلام ابن حبان زال الضعف المذكور [۱۰۳] . ثم إن هذا التضعيف الوارد فى حفص المقرئ مردود مرة أخرى، بغير الاجماع على أخذ قراءته، فقد دفع عنه الضعف أحمد بن حنبل فى روايتين عنه: - قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبى عن حفص بن سليمان المنقرى - وهو [صفحه ۴۹] المقرئ - فقال: هو صالح. - وقال حنبل بن إسحاق: قال أبو عبد الله (أحمد بن حنبل): ما كان بحفص بن سليمان المنقرى بأس [۱۰۴] .

وللحديث متابعات

لم يتفرد حفص بهذا الحديث كما وهمه البيهقى، فقد ورد الحديث عن ليث بن أبى سليم، عن مجاهد عن ابن عمر من طريق آخر عن سبط ليث بن أبى سليم وزوجته: قال سبطه الليث ابن بنت الليث بن أبى سليم: حدثتنى جدتى عائشة بنت يونس امرأة الليث، عن ليث بن أبى سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى [۱۰۵] . وبهذه الرواية يزول كل ضعف ينسب إلى الحديث، والاختلاف الوارد فى اللفظ بين: من حج فزار قبرى كما فى رواية حفص، وبين من زار قبرى لا تمس فى دلالة الحديث على استحباب زيارة قبره الشريف وفضيلتها، والنص بعدها متطابق تماما.

وللحديث شواهد، منها

۱ - حديث النعمان بن شبل، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى، ذكره ابن عدى وقال: لا [صفحه ۵۰] أعلم رواه عن مالك غير النعمان بن شبل، ولم أر فى أحاديثه (يعنى عن مالك) حديثا غريبا قد جاوز الحد فأذكره [۱۰۶] . وأخرجه الدارقطنى فى (أحاديث مالك بن أنس الغرائب التى ليست فى الموطأ) وهو كتاب ضخم [۱۰۷] . وهكذا تتعاضد الأحاديث، وفيها صحاح وحسان بملاحظة المتابعات والشواهد، فى الدلالة على استحباب زيارة قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ما فيها من فضل كبير. ۲ - حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام: رواه الكلينى، عن على بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمى، عن أبى حجر الأسلمى، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أتى مكة حاجا ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتانى زائرا وجبت له شفاعتى، ومن وجبت له شفاعتى وجبت له الجنة، ومن مات فى أحد الحرمين، مكة والمدينة [۱۰۸] ، لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجرا إلى الله عز وجل حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر [۱۰۹] . وعنه روى الشيخ الطوسى فى (التهذيب) شطر الحديث، بالاسناد نفسه عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أتى مكة حاجا ولم يزرنى فى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتانى زائرا وجبت له شفاعتى، ومن وجبت [صفحه ۵۱] له شفاعتى وجبت له الجنة [۱۱۰] . وروى الطوسى متابعا له: عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبان، عن السندى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله عليه السلام: من أتانى زائرا كنت شفيعه يوم القيامة [۱۱۱] .

فی حدیث أهل البیت

اشاره

بعد أن قرأنا جملة من الحدیث النبوی الشریف فی زیارة القبر الشریف، نقرأ فی حدیث أهل البیت علیهم السلام بعض ما جاء فی زیارته صلی الله علیه وآله وسلم، ثم بعض ما جاء فی زیارتهم علیهم السلام.

فی زیارة قبر رسول الله خاصة

۱ - حدیث الإمام علی علیه السلام: قال الإمام علی علیه السلام: من زار قبر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کان فی جواره [۱۱۲]. - وفی حدیث مرفوع إلی النبی صلی الله علیه وآله وسلم ما یشهد لهذا الحدیث ویوافقه: رواه الشیخ الطوسی، عن محمد بن یعقوب، عن محمد بن یحیی، عن سلمة، عن علی بن سیف بن عمیرة، عن طفیل بن مالک النخعی، عن إبراهیم بن أبی یحیی، عن صفوان بن سلیمان، عن أبیه، عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: من زارنی فی حیاتی [صفحه ۵۲] وبعد موتی، کان فی جواری یوم القیامة [۱۱۳] . ۲ - حدیث الإمام جعفر الصادق علیه السلام: رواه الشیخ الطوسی بالاسناد عن الحسن بن الجهم، عن الامام أبی الحسن الکاظم علیه السلام قال: جاء الإمام الصادق علیه السلام یوم عید الفطر إلی قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم، فسلم علیه، ثم قال: قد فضلنا الناس الیوم بسلامنا علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم [۱۱۴] . ۳ - وحدیثه علیه السلام: مروا بالمدینة فسلموا علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من قریب، وإن کانت الصلاة تبلغه من بعید [۱۱۵] . ۴ - وحدیثه علیه السلام: صلوا إلی جانب قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم وإن کانت صلاة المؤمنین تبلغه أینما کانوا [۱۱۶] . وقوله علیه السلام فی أول الحدیث: صلوا یرید الصلاة علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم، بقرینة ما بعدها. ۵ - حدیث الإمام الکاظم علیه السلام: رواه الشیخ الطوسی مسندا، قال: أتی هارون المدینة المنورة ومعه عیسی بن [صفحه ۵۳] جعفر، فاستدعی الإمام موسی الکاظم لصحبته، فقصدوا قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فتقدم هارون فسلم علیه وقال: السلام علیک یا رسول الله، السلام علیک یا ابن عم فتقدم الإمام الکاظم فقال: السلام علیک یا رسول الله، السلام علیک یا أبه، أسأل الله الذی اصطفاک واجتباک وهداک وهدی بک أن یصلی علیک فقال هارون لعیسی: سمعت ما قال ! قال: نعم، قال هارون: أشهد أنه أبوه حقا [۱۱۷] . ۶ - حدیث الإمام الجواد علیه السلام: قال الشیخ الطوسی: محمد بن الحسن بن الولید، عن محمد بن یحیی العطار، عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبی نجران، قال: سألت أبا جعفر الثانی علیه السلام عمن زار النبی صلی الله علیه وآله وسلم قاصدا، قال: له الجنة [۱۱۸] . وسیأتی فی آداب الزیارة عنهم علیهم السلام ما یستدل به أیضا علی استحباب زیارة قبره صلی الله علیه وآله وسلم وحثهم علیها وتذکیرهم بفضیلتها.

فی زیارة مراقدهم

فی حدیث أهل البیت علیهم السلام من الحث علی زیارة مراقدهم والترغیب فیها والتذکیر بحکمتها وعوائدها ما یغنی المحتاج، وهذه طائفة منتخبة منها: ۱ - من حدیث الإمام علی علیه السلام: رواه الشیخ الطوسی عن محمد بن أحمد بن داود، [صفحه ۵۴] عن محمد بن علی بن الفضل، قال: أخبرنی الحسین بن محمد الفرزدق، قال: حدثنا علی بن موسی بن الأحول، قال: حدثنا محمد بن أبی السری إملاء، قال: حدثنی عبد الله بن محمد البلوی، قال: حدثنی عمارة بن زید، عن أبی عامر الساجی واعظ أهل الحجاز، قال: أتیت أبا عبد الله جعفر بن محمد علیه السلام فقلت له: یا ابن رسول الله ما لمن زار قبر أمیر المؤمنین وعمر تربته ؟ قال: یا أبا عامر، حدثنی أبی عن أبیه عن جده الحسین بن علی علیه السلام: ان النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال له: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها، فقلت: یا

رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها ؟ فقال لى: يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله، [و] مودة منهم لرسوله، أولئك - يا على - المخصوصون بشفاعتى، والواردون حوضى، وهم زوارى غدا فى الجنة... الحديث [۱۱۹] . ولعل فى هذا الاسناد ضعف من جهة البلوى وعمارة بن زيد، ولكن فى الأحاديث التالية ما يعضده ويقويه.. ۲ - من حديث الإمام الحسن السبط عليه السلام: عن سعد بن عبد الله الأشعرى، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام، قال: بينا الحسن بن على عليه السلام فى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ رفع رأسه فقال: يا [صفحه ۵۵] أبه، ما لمن زارك بعد موتك ؟ فقال: يا بنى، من أتانى زائرا بعد موتى فله الجنة، ومن أتى أباك زائرا بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائرا بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائرا بعد موتك فله الجنة [۱۲۰] . وفى إسناد هذا الحديث ثلاثة هم من كبار أئمة الحديث وحفاظه ونقاده: الأول طرف الاسناد الأقصى، عبد الله بن سنان، والثانى والثالث، هما طرفه الأدنى، سعد ابن عبد الله الأشعرى، وأحمد بن محمد بن عيسى. وأما ما جاء فى تضعيف محمد بن خالد البرقى، فليس بقادح فيه بعد العلم بما أقروا به من منزلة البرقى فى العلم والأدب والمعرفة بالاخبار وعلوم العرب [۱۲۱] ، هذا أولا، وثانيا بعد معرفة أن أحمد بن محمد بن عيسى لا يروى عن رجل متهم، ولا يتساهل فى الرواية عن الضعفاء والمتهمين، فكان لا يروى إلا عمن يعتقد وثاقته. وهو يعد شيخ القميين ووجههم وفقيههم، غير مدافع [۱۲۲] . ومن أجل هذا أيضا يشفع الضعف المروى فى الحسن بن راشد [۱۲۳] . وبعد هذا فالحديث مشفوع بالحديث الآتى أيضا، وهو مطابق له متنا. ۳ - من حديث الإمام الحسين السبط عليه السلام: محمد بن أحمد بن داود، عن محمد بن الحسن الكوفى، قال: حدثنا محمد بن على بن معمر، قال: حدثنا محمد بن مسعدة، قال: حدثنى عبد الرحمن بن أبى نجران، عن على بن شعيب، عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام ، قال: بينا الحسين عليه السلام قاعد فى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [صفحه ۵۶] ذات يوم، إذ رفع رأسه إليه فقال: يا أبه، قال: لبيك يا بنى، قال: ما لمن أتاك بعد وفاتك زائرا لا يريد إلا زيارتك ؟ قال: يا بنى، من أتانى بعد وفاتى زائرا لا يريد إلا زيارتى فله الجنة، ومن أتى أباك بعد وفاته زائرا لا يريد إلا زيارته فله الجنة، ومن أتى أخاك بعد وفاته زائرا لا- يريد إلا زيارته فله الجنة، ومن أتاك بعد وفاتك زائرا لا يريد إلا زيارتك فله الجنة [۱۲۴] . ۴ - من حديث الإمام الباقر عليه السلام: محمد بن أحمد بن داود، عن الحسن بن محمد بن أحمد بن الوليد، قال: حدثنا الحسن بن متيل الدقاق وغيره من الشيوخ، عن أحمد بن أبى عبد الله البرقى، قال: حدثنى الحسن بن على بن فضال، عن أبى أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السلام، قال: مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإن إتيانه يزيد فى الرزق، ويمد فى العمر، ويدفع مدافع السوء. وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر له بالإمامة من الله [۱۲۵] . ۵ - من حديث الإمام الصادق عليه السلام: محمد بن أحمد بن داود، عن الحسن بن محمد ابن علان، عن حميد بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يزيد، عن على ابن الحسن، عن عبد الرحمن بن كثير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن على عليهما السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لان حق الحسين عليه السلام فريضة من الله تعالى واجبة على [صفحه ۵۷] كل مسلم [۱۲۶] . ولا ريب فى أن تكون لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مثل هذه المزية، ذلك أن للحسين عليه السلام خصوصية فريدة، فى دوره الفريد فى تاريخ الاسلام، فلقد كان فى حركته العظمى من أجل إحياء الدين وكشف أسطورة السلاطين العابثين، تجسيدا حيا للفاروق الأعظم الذى لم يدع برزخا بين الولاء الحق لرسالة السماء الصافية، وبين التحايل على الدين لدى طائفة الحكام وحواشيهم، والذل والخنوع والرضا بالدون لدى سائر الناس.. لذا فإن زيارته التى تستحضر هذا البعد الأساس، هى مصداق الولاء لله ولرسوله ولأوليائه ولدينه الحنيف، من ناحية، ومصداق البراءة من سلاطين الجور وشياطين الانس من ناحية أخرى. ومن هنا أكثر أئمة أهل البيت عليهم السلام من الحث على زيارته، وافرادها بفضائل خاصة قد لا نجد نظيرها فى ما ورد فى زيارة غيره من الأئمة عليهم السلام [۱۲۷] . ونجد البعد الأساس

فی الزیارة المتمثل فی الاعتراف بالحق وتجدید العهد وأداء الأمانة، صریحا فی حدیث الإمام الرضا علیه السلام الآتی: ۶ - من حدیث الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام: محمد بن أحمد بن داود، عن أبیه، قال: حدثنا محمد بن السندی، عن أحمد بن إدریس، عن علی بن الحسین النیسابوری، عن عبد الله بن موسی، عن الحسن بن علی الوشاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا علیه السلام یقول: إن لکل إمام عهدا فی عنق أولیائهم وشیعتهم، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء، زیارة قبورهم، فمن زارهم رغبة [صفحه ۵۸] فی زیارتهم وتصدیقا لما رغبوا فیه، کان أئمتهم شفعاءهم یوم القیامة [۱۲۸] . هذه هی فلسفة الزیارة فی أوجز عبارة. [صفحه ۵۹]

الزیارة فی تراث السلف

اشاره

إذا کانت مفردة السلف تتسع لأجیال عدیدة، بل هی لغویا تمتد منذ جیل الآباء صعودا حتی عهد الرسالة، فإننا نقتصر منها هنا علی الطبقات العلیا، وتحدیدا حتی منتصف القرن الثالث، لتشمل عهد الرسالة وعهود الصحابة وأئمة أهل البیت علیهم السلام والتابعین وأئمة الحدیث والفقه انتهاء بأئمة المذاهب الأربعة. هذه الطبقات التی عاصرت السنن روایة وتدوینا وأسست للفقه وسائر علوم الدین، وإلیها ینتهی احتجاج المسلمین بطوائفهم کافة، لنری کیف کانت زیارة قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم وقبور الأولیاء والصالحین تمثل جزءا من ثقافة الأمة الأصیلة علی امتداد تلک الطبقات. ولیس غرضنا فیه الاستقصاء، بل الاکتفاء بما فیه إثبات المطلوب. وقبر حمزة کان مزارا للصالحین من الصحابة والتابعین.. وقبر الکاظم موسی مقصدا لمن أدرک وفاته وعاش بعده.. وقبر الرضا علی بن موسی کان ملاذا لأهل العلم والصالحین مذ کان القبر.. کل ذلک سنقرأه لاحقا.. ونقرأ أن قبر أبی حنیفة کان ملاذا للشافعی، یأتیه کل یوم، داعیا ومستشفعا ومتوسلا.. وأن [صفحه ۶۰] قبر معروف الکرخی (المتوفی ۲۰۰ ه) کان عندهم (التریاق المجرب) یقصده المحتاج والمکروب من کل مکان. ونقرأ عند الغزالی والنووی والفاخوری وآخرین: أن الزائر حین یودع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ویفرغ من زیارته، یستحب له أن یخرج کل یوم إلی البقیع، ویخص یوم الجمعة، یأتی المشاهد والمزارات، فیزور العباس، ومعه الحسن بن علی، وزین العابدین، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، ویزور أمیر المؤمنین عثمان، وقبر إبراهیم ابن النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وجماعة من أزواج النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وعمته صفیة، وکثیرا من الصحابة والتابعین.. ویقول: سلام علیکم بما صبرتم، فنعمی عقبی الدار، سلام علیکم، دار قوم مؤمنین، وإنا إن شاء الله بکم لاحقون. ویقرأ آیة الکرسی وسورة الاخلاص. أو یقول: السلام علیکم دار قوم مؤمنین، أنتم السابقون، وإنا إن شاء الله بکم لاحقون.. اللهم اغفر لأهل بقیع الغرقد، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم [۱۲۹] . والآن إلی نماذج من فعل السلف فی طبقاتهم الأولی:

فی عهد الصحابة

اشاره

۱ - الزهراء البتول علیها السلام تزور قبر أبیها المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم: من حدیث الإمام علی علیه السلام: لما رمس رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ، جاءت فاطمة، [صفحه ۶۱] فوقفت علی قبره، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعته علی عینیها، وبکت، وأنشأت تقول:ماذا علی من شم تربة أحمد أن لا یشم مدی الزمان غوالیاصبت علی مصائب لو أنها صبت علی الأیام عدن لیالیا [۱۳۰] . ۲ - أعرابی یزور قبر المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم: من حدیث علی علیه السلام: قدم علینا أعرابی بعد ما دفنا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بثلاثة أیام، فرمی بنفسه علی قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم وحثا من ترابه علی رأسه، وقال: یا رسول الله، قلت فسمعنا قولک، ووعیت عن الله سبحانه فوعینا عنک، وکان فی ما أنزل علیک: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوک

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد ظلمت نفسى، وجئتك تستغفر لى، فنودى من القبر قد غفر لك [۱۳۱] . ۳ - عمر يزور قبر غريمه أخرج المحب الطبرى حديثا طويلا فى ما اتفق بالأبواء بين عمر وقد خرج حاجا فى نفر من أصحابه، وبين شيخ استغاث به هناك، فلما انصرف عمر من حجه ونزل ذلك المنزل، استخبر عن الشيخ، فقيل له إنه قد مات. فوثب عمر [صفحه ۶۲] مسرعا، مباعدا بين خطاه، حتى وقف على قبره، فصلى عليه، ثم اعتنقه وبكى [۱۳۲] . فقد هب عمر مسرعا لزيارة قبر شخص بعينه، ثم اعتنقه وبكى، أما الصلاة المذكورة فالمراد بها الدعاء، وهو الظاهر، وقد يراد بها الصلاة على الميت. ۴ - بلال يزور قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أيام عمر سأل بلال عمر أن يقره بالشام، قال: وأخى أبو رويحة الذى آخى بينى وبينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففعل ذلك عمر. ثم إن بلالا وهو بالشام رأى فى منامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال ! أما آن لك أن تزورنى يا بلال ؟ فانتبه حزينا وجلا، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه. فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمهما ويقبلهما. فقالا له: نشتهى نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان بلال قد ترك الاذان بعد وفاة رسول الله، فاستجاب لهما، فعلا سطح المسجد، فوقف موقفه الذى كان يقف فيه. فلما أن قال: الله أكبر، الله أكبر ارتجت المدينة.. فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ازدادت رجتها بأهلها، فلما أن قال: أشهد أن محمدا رسول الله خرجت حتى العواتق من خدورهن، وقالوا: أبعث رسول الله ؟ ! فما رئى يوم أكثر باكيا وباكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك اليوم [۱۳۳] . ولهذا الخبر إسناد جيد، نذكره لتشكيك منكرى شد الرحال للزيارة فيه، اتباعا [صفحه ۶۳] للهوى، لا متابعة لأصول النقد العلمى. فقد أسند الخبر إلى: إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبى الدرداء، قال: حدثنى أبى محمد بن سليمان، عن أبيه سليمان بن بلال، عن أم الدرداء، عن أبى الدرداء، قال: الخبر... وليس فى هذا الاسناد من يطعن عليه فى سائر كتب الرجال. وروى الحديث بهذا الاسناد من طريقين، ومداره على (محمد بن الفيض الغسانى) وهو الذى يرويه عن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال، ومحمد بن الفيض هذا هو المولود سنة ۲۱۹ ه، والمتوفى سنة ۳۱۵ ه، قال السبكى: روى عن خلائق، وروى عنه جماعة منهم: أبو أحمد بن عدى، وأبو أحمد الحاكم، وأبو بكر المقرئ فى معجمه [۱۳۴] . هكذا صنع بلال، وهو أحد السابقين إلى الاسلام، صاحب السيرة المعروفة، وفى عهد عمر، والصحابة متوافرون فى المدينة المنورة. ۵ - أمير المؤمنين على عليه السلام يزور قبر خباب: خباب بن الأرت، من السابقين الأولين إلى الاسلام، وكان مع على عليه السلام بالكوفة وقد مرض مرضا طويلا فلم يشهد معه صفين، فلما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من صفين، وقف على قبره وأحسن عليه الثناء. قال زيد بن وهب: سرنا مع على حين رجع من صفين، حتى إذا كنا عند باب الكوفة إذا نحن بقبور سبعة عن أيماننا، فقال: ما هذه القبور ؟، فقالوا: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الإرث توفى بعد [صفحه ۶۴] مخرجك إلى صفين فأوصى أن يدفن فى ظاهر الكوفة، فدفن الناس عنده، فقال على رضى الله عنه: رحم الله خبابا، أسلم راغبا، وهاجر طائعا، وعاش مجاهدا، وابتلى فى جسمه، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا ثم دنا من قبورهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، أنتم لنا سلف فارط [۱۳۵] ، ونحن لكم تبع عما قليل لاحق، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، وأرضى الله عز وجل [۱۳۶] . ۶ - عائشة تزور قبر أخيها: عن عبد الله بن أبى مليكة، أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت: من قبر أخى عبد الرحمن بن أبى بكر. فقلت لها: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زيارة القبور ؟ قالت: نعم، كان نهى، ثم أمر بزيارتها. صححه الذهبى [۱۳۷] . ۷ - محمد بن الحنفية يزور قبر الحسن السبط عليه السلام: وقف محمد بن الحنفية على قبر الإمام الحسن عليه السلام فخنقته العبرة، نطق فقال: [صفحه ۶۵] رحمك الله يا أبا محمد، فلئن عزت حياتك، فلقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكف الحق، وربيت فى حجر الاسلام، فطبت حيا وطبت ميتا، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكة فى الخيار لك [۱۳۸] . ۸ - أبو أيوب الأنصارى

يزور قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: اتفق الحاكم والذهبى على صحة الخبر المروى فى زيارة أبى أيوب الأنصارى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام ولاية مروان على المدينة، أى قبل سنة ۶۴ ه، إذ أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدرى ما تصنع ؟ فأقبل عليه، فإذا أبو أيوب الأنصارى، فقال: نعم، إنى لم آت الحجر، إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم آت الحجر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله [۱۳۹] . وفيه أكثر من دلالة: الأولى: إن علماء الصحابة وأجلائهم كانوا يعرفون صحة الزيارة، ويستحبونها، وهو ما صرح به الترمذى فى تعليقته المشار إليها، وستأتى بنصها الكامل لاحقا. [صفحه ۶۶] والثانية: إن رجالات بنى أمية كانوا ينهون عن ذلك ويستنكرونه. والثالثة: إنها إشارة مفيدة إلى تاريخ النهى عن الزيارة وجذوره الأولى، ولعل هذا الخبر الثابت يكشف لنا عن أقدم ما ورد فى النهى عن الزيارة وورود القبر الشريف، وهى ممارسة سياسية، مارسها هذا الوالى الأموى أيام حكومتهم. يؤكد هذا جواب أبى أيوب الأنصارى لمروان، وفيه التصريح الواضح بأن بنى أمية ليسوا من أهل الدين الامناء عليه، بل إنما يخشى على الدين منهم، وهذا الذى يصنعه مروان واحدة فقط من الأحدوثات التى أحدثها وسيحدثها الأمويون فى الدين.

الفائدة

هذه الأخبار ونظائرها لا تمثل أحداثا منفردة فى تاريخ الصحابة، وإنما هى أخبار دونت دون سواها لما وافقها من خصوصية، ساعدت على انتشارها، وما هى إلا شواهد على واقع الحال الذى كان يعيشه جيل الصحابة والذى لم نعرف عنه فى مصدر واحد، ولا فى حديث واحد - ولو موضوع - نهيا عن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد من الصحابة بعد وفاتهم. وعدم وجود النهى وحده قاطع بالاثبات، تؤكده هذه الاحداث المروية لما فيها من خصوصيات أفردتها عن العرف السائد. وتؤيده السيرة الثابتة للصحابة والتابعين أنهم إذا أرادوا الخروج من المدينة أتوا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للوداع، وإذا دخلوا المدينة ابتدأوا بزيارته والسلام عليه. وهذا أمر ثابت أشهر من أن يحتاج إلى برهان، ولم ينكره أحد ممن له خلاف فى [صفحه ۶۷] بعض شؤون الزيارة وأحوالها.

بعد الصحابة

اشاره

۱ - عمر بن عبد العزيز استفاض عن عمر بن العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام ليسلم له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. نقل ذلك أبو بكر أحمد بن عمر بن أبى عاصم النبيل، المتوفى سنة ۲۸۰ ه فى كتابه المناسك وقد جرده من الأسانيد ملتزما فيه الثبوت، قال: كان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصدا من الشام إلى المدينة ليقرئ النبى صلى الله عليه وآله وسلم السلام، ثم يرجع. وذكره ابن الجوزى أيضا فى كتابه الذى أفرده لمثل هذه الأخبار، وأسماه مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، قال السبكى: نقلته من خطه [۱۴۰] . ودلالته واضحة ليس على استحباب الزيارة وحسب، بل على شد الرحال لاجلها أيضا. ومثله فى الدلالة ما ثبت عن بلال رضى الله عنه. ۲ - الإمام جعفر الصادق عليه السلام: وقد سأله أحد أصحابه: إنا نأتى المساجد التى حول المدينة، فبأيها أبدأ ؟ قال عليه السلام: أبدأ بقبا، فصل فيه، وأكثر، فإنه أول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه العرصة، ثم ائت مشربة أم إبراهيم فصل فيها، فهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومصلاه، ثم تأتى مسجد الفضيخ فتصلى فيه، فقد صلى فيه [صفحه ۶۸] نبيك، فإذا قضيت هذا الجانب أتيت جانب أحد فبدأت بالمسجد الذى دون الحرة فصليت فيه، ثم مررت بقبر حمز بن عبد المطلب عليه السلام فسلمت عليه، مررت بقبور الشهداء... الحديث [۱۴۱] . وفيه أمر صريح بزيارة قبر سيد الشهداء حمزة

خاصة ثم قبور سائر الشهداء رضوان الله عليهم أجمعين. ۳ - الشافعي يزور قبر أبي حنيفة أخرج الخطيب البغدادي وغيره، عن علي بن ميمون صاحب الشافعي، قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجئ إلى قبره في كل يوم، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد حتى تقضى [۱۴۲] . وفيه زيادة على الزيارة، العمل بالتوسل والاستشفاع. ۴ - أبو علي الخلال شيخ الحنابلة وقبر موسى بن جعفر عليه السلام: الحسن بن إبراهيم، أبو علي الخلال، شيخ الحنابلة في وقته، كان يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب [۱۴۳] . [صفحه ۶۹] ۵ - أبو بكر بن خزيمة وقبر الرضا عليه السلام: قال أبو بكر محمد بن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة (۲۲۳ - ۳۱۱ ه)، وعديله أبي علي الثقفي (۲۴۴ - ۳۲۸)، مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة علي بن موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه - يعني ابن خزيمة - لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا [۱۴۴] . وكل ذلك شاهد على التوسل والاستشفاع، بعد القصد إلى الزيارة. ۶ - أئمة المذاهب الأربعة وسائر أهل العلم: عند ذكر الحديث الذي أخرجه مسلم والترمذي والنسائي والحاكم من حديث بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكر الآخرة أشرنا إلى أن للترمذي تعقيبا على الحديث، وهذا هو نصه: قال الترمذي: حديث بريدة حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، لا يرون بزيارة القبور بأسا، وهو قول: ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق [۱۴۵] . وابن المبارك: هو عبد الله بن المبارك بن واضح، وصفه الذهبي بالامام، شيخ الاسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته.. سمع من هشام بن عروة، [صفحه ۷۰] والأعمش، وموسى بن عقبة، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وابن جريج، وهذه الطبقة، وحدث عنه: معمر، والثوري، وعبد الرزاق الصنعاني، وابن أبي شيبة وهذه الطبقة، ولد سنة ۱۱۸، وتوفي سنة ۱۸۱ ه في مدينة هيت - من مدن غرب العراق - ودفن فيها.. ونقل الذهبي لبعض الأفاضل في زيارة قبره:مررت بقبر ابن المبارك غدوة فأوسعني وعظا وليس بناطق [۱۴۶] .وإسحاق: هو إسحاق بن راهويه قرين أحمد بن حنبل، وكان أحمد يسميه الامام، ويقول: لا أعرف له في الدنيا نظيرا، ولقبه الذهبي بشيخ المشرق، سيد الحفاظ ولد سنة ۱۶۱ ه، وتوفي سنة ۲۳۸ ه، وله في سير أعلام النبلاء ترجمة واسعة [۱۴۷] . - وقد تقدم عن الشافعي زيارته قبر أبي حنيفة، وتوسله به، ومداومته على ذلك، ويأتي في (التوسل) توسل أحمد بالشافعي. - وقال مالك بن أنس: لا بأس بمن قدم من سفر، أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصلي عليه ويدعو له، ولأبي بكر وعمر. فقيل له: فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه، يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبور فيسلمون ويدعون ساعة. فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا [صفحه ۷۱] يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر، أو أراده. قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوا أتوا القبر فسلموا، قال: وذلك رأيي. قال الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء، لان الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم [۱۴۸] .

وفيه فائدتان

الأولى: أن جمهور الناس في القرن الثاني للهجرة، حيث عاش مالك، كانوا متفقين على المداومة على زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، يصنعون ذلك مرارا، ويدعون عند قبره على الدوام، وهم جيل اتباع التابعين، الذين ورثوا عن التابعين عاداتهم وعباداتهم. والثانية: أن مالكا، كان يجيز القصد إلى الزيارة، ويحبذه، فيدعو المسافر أو القادم إلى التوجه لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاصدا لذلك. وهذا ما قاله الباجي في شرح كلام مالك، مؤكدا أن قصد الزيارة هو المبرر الذي اعتمده مالك في جوازها، بل استحبابها، قائلا: لان الغرباء قصدوا ذلك. أما عن رأي مالك، كما قال السبكي، فهو أن الزيارة قربة، ولكنه على عادته

فی سد الذرائع یکره منها الاکثار الذی قد یفضی إلی محذور. وهذا واضح فی کلام مالک الآنف الذکر، وهو یحبذها للغرباء والمسافرین. وأما أئمة المذاهب الثلاثة الأخری، فهم یقولون باستحبابها واستحباب [صفحه ۷۲] الاکثار منها، لان الاکثار من الخیر خیر، وکلهم مجمعون علی استحباب الزیارة [۱۴۹] . ونذکر ثانیة بما أسلفناه عن الشافعی، وما سیأتی عن أحمد. ۷ - أحمد بن حنبل وزیارة قبر الحسین علیه السلام: فی ما ذکره ابن تیمیة حول جسد الحسین علیه السلام، قال: ولکن الذی اعتقدوه هو وجود البدن فی کربلاء، حتی کانوا ینتابونه فی زمن أحمد وغیره، حتی أنه فی مسائله: (مسائل فی ما یفعل عند قبره) أی قبر الحسین علیه السلام، ذکرها أبو بکر الخلال فی جامعه الکبیر، فی زیارة المشاهد [۱۵۰] . فهو یثبت زیارة الناس قبر الإمام الحسین علیه السلام زمن أحمد وغیره، ویثبت أن أحمد لم ینکر علیهم الزیارة، بل یثبت أنه قد کتب فی ما ینبغی أن یفعله الزائر لقبر الحسین علیه السلام، مراعاة للسنة فی الزیارة. هذا مع أن ابن تیمیة هو أشد المنکرین للسفر بقصد الزیارة، وهذه واحدة فقط من هفواته، ولأجل هذا أفردنا هذا برقم خاص، مع أنه داخل فی الفقرة السابقة. ۸ - روایة العتبی المتوفی ۲۲۸ ه فی زیارة الاعرابی من جمیل الأثر فی زیارة سید البشر صلی الله علیه وآله وسلم ما رواه محمد بن عبید الله بن عمرو ابن معاویة بن عمر بن عتبة بن أبی سفیان الأموی، وکان صاحب أخبار وراویة للآداب، وقد حدث عن سفیان بن عیینة. وقد أخرج هذه الروایة ابن الجوزی فی [صفحه ۷۳] (مثیر العزم الساکن إلی أشرف الأماکن) وابن عساکر فی (تاریخ دمشق) والقسطلانی بأسانیدهم عن: محمد بن حرب الهلالی، قال: دخلت المدینة، فأتیت قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابی فزاره، ثم قال: یا خیر الرسل، إن الله أنزل علیک کتابا صادقا قال فیه: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوک فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحیما) وإنی جئتک مستغفرا ربک من ذنوبی مستشفعا فیها بک. ثم بکی وأنشأ یقول: یا خیر من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طیبهن القاع والاکم نفسی الفداء لقبر أنت ساکنه فیه العفاف وفیه الجود والکرم ثم استغفر وانصرف. وقد نظم أبو الطیب أحمد بن عبد العزیز بن محمد المقدسی فیها أبیاتا وضمنها البیتین، فقال: أقول والدمع من عینی منسجم لما رأیت جدار القبر یستلم والناس یغشونه باک ومنقطع من المهابة أو داع فملتزم فما تمالکت أن ناديت من حرق فی الصدر کادت له الأحشاء تضطرم (یا خیر من دفنت فی القاع أعظمه فطاب من طیبهن القاع والاکم نفسی الفداء لقبر أنت ساکنه فیه العفاف وفیه الجود والکرم) وفیه شمس التقی والدین قد غربت من بعد ما أشرقت من نورها الظلم حاشا لوجهک أن یبلی وقد هدیت فی الشرق والغرب من أنواره الأمم وأن تمسک أیدی الترب لامسة وأنت بین السماوات العلی علم إلی قوله: [صفحه ۷۴] لئن رأیناه قبرا إن باطنه لروضة من ریاض الخلد تبتسمطافه به من نواحیه ملائکة تغشاه فی کل یوم ما یوم تزدحم لو کنت أبصرته حیا لقلت له لا تمشی إلا علی خدی لک القدم [۱۵۱] .

خاتمة فی کلمات أئمة الحنابلة خاصة فی الزیارة

أفردنا أئمة الحنابلة خاصة فی هذا الموضع لأنه أوقع فی الرد علی متأخریهم، ابتداء بابن تیمیة، الذین ذهبوا إلی تحریم السفر بقصد الزیارة وعده من مصادیق الشرک، أو الکفر. ۱ - أبو الفرج ابن الجوزی (۵۹۷ ه) صنف کتابا بعنوان (مثیر العزم الساکن إلی أشرف الأماکن) وعقد فیه بابا فی زیارة قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم. وقد تقدمت عنه نقول کثیرة. وفی کتابه الآخر مناقب الإمام أحمد بن حنبل ذکر أخبارا عدیدة فی زیارة قبر أحمد بن حنبل، یفید مجموعها أنها عادة الحنابلة، وأنها لدیهم من القربات المهمة التی لا یفرطون بها [۱۵۲] وذکر فی کتابه (المنتظم) أنه قد قصد زیارته فی سنة ۵۷۴ ه وتبعه خلق کثیر یقدرون بخمسة آلاف إنسان [۱۵۳] . وهذه بعض نصوص ابن الجوزی، تعکس صورة واضحة عن ثقافة الزیارة عند الحنابلة: [صفحه ۷۵] - عن أبی الفرج الهندبائی، قال: کنت أزور قبر أحمد بن حنبل، فترکته مدة، فرأیت فی المنام قائلا یقول لی: ترکت زیارة إمام السنة ؟ ! [۱۵۴] . - عن أبی طاهر میمون، قال: رأیت رجلا بجامع الرصافة فی شهر ربیع الآخرة من سنة ست وستین وأربعمئة، فسألته، فقال: قد جئت من ستمئة فرسخ، فقلت: فی أی حاجة ؟ قال: رأیت وأنا ببلدی فی لیلة جمعة کأنی فی صحراء أو فی فضاء عظیم، والخلق قیام، الزیارة والتوسل - صائب

عبد الحميد – ص ۷۵ – ۸۲ وأبواب السماء فتحت، وملائكة تنزل من السماء تلبس أقواما ثيابا خضرا، وتطير بهم فى الهواء، فقلت: من هؤلاء الذين اختصوا بهذا ؟ فقالوا لى: هؤلاء الذين يزورون أحمد بن حنبل.. فانتبهت، ولم ألبث أن أصلحت أمرى وجئت إلى هذا البلد وزرته دفعات، وأنا عائد إلى بلدى إن شاء الله [۱۵۵] . – قال ابن الجوزى: وفى صفر سنة ۵۴۲ ه رأى رجل فى المنام قائلا يقول له: من زار أحمد بن حنبل غفر له. قال: فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره، وعقدت يومئذ ثم مجلسا فاجتمع فيه ألوف من الناس [۱۵۶] . – الله يزور أحمد بن حنبل كل عام ! ! كما نقل ابن الجوزى عن أبى بكر بن مكارم ابن أبى يعلى الحربى، قال: وكان شيخا صالحا، أنه رأى فى منامه أنه أتى قبر [صفحه ۷۶] أحمد يزوره على عادته، فرأى القبر قد التصق بالأرض ولم يبق منه إلا القليل، فقال: هذا من كثرة الغيث.. فسمع أحمد من القبر يقول له: لا، بل هذا من هيبة الحق عز وجل، لأنه عز وجل قد زارنى، فسألته عن سر زيارته إياى فى كل عام، فقال عز وجل: يا أحمد، لأنك نصرت كلامى، فهو ينشر ويتلى فى المحاريب. يقول الحربى: فأقبلت على لحده أقبله، ثم قلت: يا سيدى، ما السر فى أنه لا يقبل قبر إلا قبرك ؟ فقال لى: يا بنى، ليس هذا كرامة لى، ولكن هذا كرامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لان معى شعرات من شعره.. ثم قال: ألا ومن يحبنى لم لا يزورنى فى شهر رمضان ؟ [۱۵۷] . وليست العبرة فى صحة هذه الأخبار أو عدم صحتها، إنما العبرة فى ملاحظة أن ثقافة الزيارة عند الحنابلة لا تختلف كثيرا عنها عند الصوفية، إلا فى ممارسات خارجية قد يصنعها بعض الصوفية دون الحنابلة.. مع ملاحظة أن دعاة السلفية من المنتسبين إلى مذهب أحمد بن حنبل حين حاربوا هذا النمط من ثقافة الزيارة قد وجهوا حملاتهم على التراث الصوفى خاصة، وتراث الطوائف الاسلامية الأخرى عامة، وغضوا الطرف كاملا عما تراكم فى تراثهم من ذلك. ولا ريب فى أن الاحداث التى دونها ابن الجوزى فى (المنتظم) فى هذا الموضوع كانت صحيحة، وفيها حدثان كان فيهما شاهدا ومعايشا، وثمة حقيقة أخرى يثبتها، ويشاركه فيها ابن كثير، قد تفوق كل ما تقدم ذكره فى ما تعارف عليه الحنابلة فى الزيارة.. [صفحه ۷۷] ففى ترجمة أبى جعفر بن أبى موسى (ت ۴۷۰ ه) إمام الحنابلة فى وقته، وقد دفن عند قبر أحمد، قال ابن الجوزى: كان الناس يبيتون هناك كل ليلة أربعاء، ويختمون الختمات، ويخرج المتعيشون فيبيعون المأكولات، وصار ذلك فرجة للناس – أى فرجا – ولم يزالوا كذلك إلى أن جاء الشتاء فامتنعوا.. وقال ابن كثير: دفن إلى جانب الإمام أحمد ، فاتخذت العامة قبره سوقا كل ليلة أربعاء، يترددون إليه [۱۵۸] . وكل ما تقدم يكشف بوضوح عن عقيدة شيخ الحنابلة فى وقته أبى الفرج بن الجوزى فى الزيارة، بل فى شد الرحال إليها، الذى سيأتى بحثه لاحقا.. ولنتابع مع آخرين من أقطاب الحنابلة.. ۲ – موفق الدين ابن قدامة المقدسى (۶۲۰ ه): يصرح باستحباب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ويستدل لذلك بما رواه الدارقطنى وأحمد من حديث ابن عمر وأبى هريرة [۱۵۹] . ۳ – نجم الدين بن حمدان الحنبلى (۶۹۵ ه): ويسن لمن فرغ عن نسكه زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبيه، وله ذلك بعد فراغ حجه، وإن شاء قبل فراغه [۱۶۰] . ۴ – ابن تيمية (۷۲۸ ه): وابن تيمية الذى أنكر السفر بقصد الزيارة، لم ينكر أصل الزيارة، فأثبتها للحاج وأدخلها فى المناسك، فقال فى مناسكه: باب زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أشرف على مدينة النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل الحج أو بعده... فإذا [صفحه ۷۸] دخل المسجد بدأ برجله اليمنى... ثم يأتى الروضة بين القبر والمنبر فيصلى بها ويدعو بما شاء، ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فيستقبل الجدار، ولا يمسه ولا يقبله، ويجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائما وجاه النبى، ويقف متباعدا كما يقف لو ظهر فى حياته بخشوع وسكون.. [۱۶۱] . ويأتى فى الفقرة اللاحقة ما يثبت خطأ ما ذهب إليه ابن تيمية فى تجنب مس القبر والمنبر.

التبرک

زيادة فى تقرير صحة الزيارة وكونها قربة، فقد ثبت فى الكثير من سير الصحابة والتابعين وكبار السلف أنهم كانوا يتبركون بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقبره ومنبره. والأثر فى هذا كثير، نكتفى منه بالنزر اليسير الشاهد على المطلوب: ۱ – قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبى عن الرجل يمس منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتبرك بمسه ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك

رجاء ثواب الله تعالى. قال: لا بأس به [۱۶۲] . ويؤيد ذلك عن أحمد الرواية الآتية: ۲ - عن الحافظ أبى سعيد بن العلا، وهو معاصر لابن تيمية، قال: رأيت فى كلام [صفحه ۷۹] الإمام أحمد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر [۱۶۳] وغيره من الحفاظ: أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك. قال: فأريناه التقى ابن تيمية، فصار يتعجب من ذلك، ويقول: عجبت من أحمد، عندى جليل ! ! قال ابن العلا: وأى عجب فى ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصا للشافعى وشرب الماء الذى غسله به ! أخرج هذا ابن الجوزى وابن كثير [۱۶۴] ، وهما من أشد الناس اتباعا لأحمد وتعظيما له، وان ابن كثير خاصة من أشد الناس متابعة لابن تيمية. ۳ - وروى ابن حجر العسقلانى عن أحمد أنه لا يرى بأسا فى تقبيل منبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبره [۱۶۵] . ۴ - محمد ابن المنكدر، وهو من أعلام التابعين، توفى سنة ۱۳۰ ه، كان يجلس مع أصحابه فى المسجد النبوى الشريف، فكان يقوم ويضع خده على قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم يرجع، فعوتب فى ذلك، فقال: إنه ليصيبنى خطرة، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يأتى موضعا من المسجد فى الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع، فقيل له فى ذلك، فقال: إنى رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا [صفحه ۸۰] الموضع، يعنى فى النوم. ذكرهما عنه الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) [۱۶۶] وقد ترجم له ترجمة وافية، وأثنى عليه ثناء بالغا، وعده، نقلا عن نقاد الرجال، من أجدر التابعين من طبقته ممن يؤخذ منه حتى مراسيله إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأرخ مولده ببضع وثلاثين للهجرة، وهو خال عائشة، وكان خصيصا بها، وحين توفيت كان هو ابن نيف وعشرين سنة [۱۶۷] . ۵ - وأما التبرك بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو أمر شائع، وشواهده يطول ذكرها، نكتفى منها بواحد، عالى الاسناد، صريح الدلالة: أخرج الذهبى من حديث التابعى الكبير عبيدة السلمانى المتوفى سنة ۷۲ ه، وهو من أجل التابعين وأفاضل أصحاب الإمام على عليه السلام، ومن أئمة الحديث والقضاء، وكانوا لا يختلفون فى أنه أقضى من شريح [۱۶۸] . قال الذهبى: قيل لعبيدة السلمانى: إن عندنا من شعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا من قبل أنس بن مالك. فقال عبيدة: لان يكون عندى منه شعرة أحب إلى من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض. وعقب الذهبى قائلا: هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدى الناس، ومثل هذا ما يقوله هذا الامام بعد [صفحه ۸۱] النبى صلى الله عليه وآله وسلم بخمسين سنة، فما الذى نقوله نحن فى وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شقفة من إناء شرب فيه ؟ فلو بذل الغنى معظم أمواله فى تحصيل شىء من ذلك، أكنت تعده مبذرا أو سفيها ؟ ! كلا.. فأبذل مالك فى زورة مسجده الذى بنى فيه بيده، والسلام عليه عند حجرته فى بلده، وتملا بالحلول فى روضته ومقعده، فلن تكون مؤمنا حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم. وقبل حجرا مكرما نزل من الجنة، وضع فمك لاثما مكانا قبله سيد البشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمحجن الذى أشار به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحجر ثم قبل محجنه، لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل، ونحن ندرى بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله. قال: وقد كان ثابت البنانى إذا رأى أنس بن مالك أخذ بيده فقبلها، ويقول: يد مستها يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فنقول نحن إذا فاتنا ذلك: حجر معظم بمنزلة يمين الله فى الأرض مسته شفتا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لاثما له.. فإذا فاتك الحج، وتلقيت الوفد فالتزم الحاج وقبل فمه، وقل: فم مس بالتقبيل حجرا قبله خليلى صلى الله عليه وآله وسلم [۱۶۹] . وفى كلام الذهبى هذا تعريض واضح بابن تيمية وأتباعه، وهو يحث على شد الرحال لزيارة قبره، وبذل الأموال من أجل ذلك، بل من أجل الحصول على شىء من آثاره، ولو شسع نعل كان له. وخلاصة القول: إن التبرك بمس قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره وآثاره أمر معروف [صفحه ۸۲] عند متقدمى السلف، مشهود بينهم، وسائر الفقهاء لا يخالفون فى هذا، غير أن بعضهم كان يرى أن التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقتضى أن لا يدنو الزائر من قبره كثيرا، بل يقف أمامه على فاصلة، بكل إجلال، كما لو كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قائما أمامه، وهو رأى لا نكارة فيه لمن يرى هذا من التأدب، وهو بعد لم يستند إلى أدلة تجعل منه السنة الثابتة فى الزيارة، إن القائلين به أيضا كانوا يستثنون

من غلبته شدة الشوق، فقبل القبر أو المنبر، أو رمى بنفسه عليهما، ولا ريب أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يصنعون معه مثل هذا فى حياته فى حالات الشوق الشديد الذى لا يمتلك معه المرء نفسه، وقد كان ذلك مما يبعث فى نفسه الشريفة الارتياح، ويزيده لهم محبة، وعليهم رحمة وشفقة. كما اتفقوا أيضا على أن من فعل ذلك لغرض التبرك وحده، فلا بأس به، ولا نكارة عليه. وإنما كرهوا أن يكون ذلك تصنعا، وأن يتخذه المرء عادة وسنة، دون أن يكون ذلك مصحوبا بشوق حقيقى. وهو المستفاد مما نسب إلى الإمام على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام - على فرض صحة إسناده - وقد رأى رجلا يفعل ذلك مرارا وفى كل يوم، فقال له: ما يحملك على هذا ؟. قال: أحب التسليم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم. فقال له زين العابدين عليه السلام: هل لك أن أحدثك عن أبى ؟. قال: نعم. قال عليه السلام: حدثنى أبى، عن جدى، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تجعلوا قبرى عيدا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وصلوا على وسلموا حيث ما كنتم، [صفحه ۸۳] فسيبلغنى سلامكم وصلاتكم [۱۷۰] . وأخرج عبد الرزاق فى (المصنف) نحو هذا عن الحسن بن على عليهما السلام. وليس فى هذا الكلام إنكار لأصل الزيارة، لا سيما بعد أن ثبت أنهم يفعلونها، وأنهم مجمعون على صحتها وكونها قربة، ولكنه لما رأى الرجل قد جاوز الحد فى صنيعه عند القبر، مكررا ذلك غداة كل يوم كما جاء فى صدر الخبر، الامر الذى يبعد معه احتمال كونه يصنع ذلك كله بشوق حقيقى خال من التصنع، أنكر عليه ذلك، وأراد تعليمه أن السلام يبلغه ولو من بعد، دون الحاجة إلى هذا القدر من التصنع المكرر يوما بعد آخر. ويشهد لهذا أحاديث كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام، منها: - حديث الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه على بن الحسين نفسه، أنه كان يقف على قبر النبى ويلتزق بالقبر [۱۷۱] . - وأن الإمام الصادق عليه السلام كان يأتى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيضع يده عليه. وسيأتى بكامله مع أحاديث أخرى مماثلة فى (آداب الزيارة). - وحديث الإمام الصادق عليه السلام: مروا بالمدينة فسلموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريب، وإن كانت الصلاة تبلغه من بعيد [۱۷۲] . - وقوله عليه السلام: صلوا إلى جانب قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإن كانت صلاة المؤمنين [صفحه ۸۴] تبلغه أينما كانوا [۱۷۳] . وسيأتى فى (آداب الزيارة) أن الأئمة عليهم السلام وسائر أهل العلم كانوا يعلمون الناس سننا وآدابا خاصة فى الزيارة، ليتمسك بها الناس، فلا يتجاوزونها. وشأن الزيارة فى ذلك شأن سائر العبادات والقربات المحفوفة بالسنن والآداب. [صفحه ۸۵]

آداب الزيارة ورد الشبهات المثارة حولها

آداب الزيارة

اشاره

كغيرها من الأعمال التى يتقرب بها إلى الله تعالى، لابد أن تكون للزيارة سنن وآداب، ينبغى التزامها، والعمل بمقتضاها والحذر من مجاوزتها وإغفالها لما قد يجره ذلك عن خروج من السنن أحيانا، ومجاوزة للآداب أحيانا أخرى. وقد تقدم فى (زيارة القبور وفضيلتها) عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى أن يقول الزائر هجرا، أى أن يأتى بالكلام الذى لا يستقيم مع روح الدين الاسلامى ومقاصده. ولما كانت زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الأولياء الصالحين مما عمل به المسلمون منذ الصدر الأول، واستمروا عليه، فقد وجد الأئمة عليهم السلام وسائر الفقهاء لزاما تعليم الناس فقه الزيارة وسننها وآدابها، حفاظا على صورة الدين الحنيف، وعلى صورة هذه الشعيرة من شعائره، فورد عنهم فى هذا أثر كثير، يؤكد [صفحه ۸۶] بالمرتبة الأولى إجماعهم على أنها من سنن هذا الدين، وأنها من الأعمال التى يتقرب بها العبد إلى الله تعالى.. ونكتفى هنا بإيراد نماذج منتخبة، تحقق الغرضين معا، شرعية الزيارة، ثم سننها وآدابها. ۱ - فى حديث حسن الاسناد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها أو حين تدخلها، ثم تأتى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم تقوم فتسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تقوم

عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر، وأنت مستقبل القبلة، ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر، ومنكبك الأيمن مما يلى القبر، فإنه موضع رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك وجاهدت فى سبيل الله وعبدت الله مخلصا حتى أتاك اليقين، بالحكمة والموعظة الحسنة، وأديت الذى عليك من الحق، وأنك قد رؤفت بالمؤمنين، وغلظت على الكافرين، فبلغ الله بك أفضل شرف محل المكرمين. الحمد لله الذى استنقذنا بك من الشرك والضلالة، اللهم فاجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقربين وعبادك الصالحين وأنبيائك المرسلين وأهل السماوات والأرضين ومن سبح لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين على محمد عبدك ورسولك ونبيك وأمينك ونجيبك وحبيبك وصفيك وخاصتك وصفوتك وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه [صفحه ۸۷] الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون. اللهم إنك قلت: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وإنى أتيت نبيك مستغفرا تائبا من ذنوبى، يا رسول الله إنى أتوجه بك إلى الله ربى وربك ليغفر ذنوبى. قال: وإذا كان لك حاجة فاجعل قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلف كتفيك واستقبل القبلة وارفع يديك واسأل حاجتك، فإنها أحرى أن تقضى إن شاء الله [۱۷۴] . وفى الحديث ما هو صريح بالتوسل والاستشفاع بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم. أما استدبار القبر الشريف أثناء الدعاء فقد ورد مثله فى أحاديث أخر، كما ورد أيضا استقباله فى الدعاء، مما يدل على جواز الامرين، وليس فى أيهما مخالفة لأدب الزيارة أو أدب الدعاء. ۲ - من حديث الإمام موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده الباقر عليهم السلام، قال: كان أبى على بن الحسين عليهما السلام يقف على قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيسلم عليه، ويشهد له بالبلاغ، ويدعو بما حضره، ثم يسند ظهره إلى المروة [۱۷۵] الخضراء الدقيقة العرض مما يلى القبر، ويلتزق بالقبر، ويسند ظهره إلى القبر ويستقبل القبلة، فيقول: اللهم إليك ألجأت أمرى، وإلى قبر محمد عبدك [صفحه ۸۸] ورسولك أسندت ظهرى، والقبلة التى رضيت لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم استقبلت... فى دعاء طويل [۱۷۶] . ۳ - عن محمد بن مسعود، قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام انتهى إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوضع يده عليه، وقال: أسأل الله الذى اجتباك واختارك وهداك وهدى بك أن يصلى عليك، ثم قال: (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [۱۷۷] . ۴ - عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأت المنبر وامسحه بيدك، وخذ برمانتيه، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به، فإنه يقال إنه شفاء العين. وثم عنده فاحمد الله وأثن عليه، وسل حاجتك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما بين منبرى وبيتى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على ترعة من ترع الجنة [۱۷۸] ، ثم تأتى مقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فتصلى فيه ما بدا لك، فإذا دخلت المسجد فصل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإذا خرجت فاصنع مثل ذلك، وأكثر من الصلاة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [۱۷۹] . وهو صريح بجواز التبرك بمنبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ۵ - نص زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى (الفقه على المذاهب الأربعة). وردت عن أعلام المذاهب الأربعة نصوص عديدة فى زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، [صفحه ۸۹] اختار منها صاحب كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) نصا موجزا نسبيا، يتلوه الزائر عند قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو: السلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله، فقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت فى أمر الله حتى قبض الله روحك حميدا محمودا، فجزاك عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاها، وأتم التحية وأنماها، اللهم اجعل نبينا يوم القيامة أقرب النبيين إليك، واسقنا من كأسه، وارزقنا من شفاعته، واجعلنا من رفقائه يوم القيامة، اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا عليه السلام، وارزقنا العود إليه يا ذا الجلال والاكرام [۱۸۰] . وفى الفقرة الأخيرة ما يدل على استحبابهم القصد لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم ، غير مقرون بقصد آخر اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا عليه السلام، وارزقنا العود إليه.

استقبال القبر واستدبار القبلة

تقدم فی حدیثی الامامین زین العابدین والصادق علیهما السلام استحباب استقبال القبلة وجعل القبر الشریف وراء الکتف حال الدعاء عنده، وقد أشرنا هناک إلی ورود ما یدعو إلی استقبال القبر الشریف حال الدعاء والاستشفاع، وعندها تکون القبلة وراء کتف الزائر. ومما ورد فی هذا: ۱ - عن أبی حنیفة، قال: جاء أیوب السختیانی، فدنا من قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم، فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلی القبر، فبکی بکاء غیر متباک [۱۸۱] . [صفحه ۹۰] ۲ - مالک بن أنس: فی مناظرة مالک بن أنس وأبی جعفر المنصور فی المسجد النبوی الشریف، قال أبو جعفر لمالک: یا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو، أم استقبل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ؟ قال مالک: ولم تصرف وجهک عنه، وهو وسیلتک ووسیلة أبیک آدم علیه السلام إلی الله تعالی یوم القیامة ؟ ! بل استقبله، واستشفع به فیشفعه الله تعالی [۱۸۲] . ۳ - مذهب الشافعی وأبی حنیفة، والمنقول عن ابن عمر: استقبال القبر واستدبار القبلة. قال الخفاجی فی (نسیم الریاض): استقبال وجهه صلی الله علیه وآله وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعی والجمهور، ونقل عن أبی حنیفة. وقال ابن الهمام: ما نقل عن أبی حنیفة أنه یستقبل القبلة مردود بما روی عن ابن عمر: أن من السنة أن یستقبل القبر المکرم ویجعل ظهره للقبلة. قال: وهو الصحیح من مذهب أبی حنیفة [۱۸۳] . وقد تقدمت روایة أبی حنیفة عن أیوب السختیانی بما یوافقه. ۴ - إبراهیم الحربی [۱۸۴] : قال فی مناسکه: تولی ظهرک القبلة وتستقبل وسط القبر، وتقول: السلام علیک أیها النبی ورحمة الله وبرکاته [۱۸۵] .

فی آداب زیارة مراقد الأئمة

إن من تمام الوفاء بالعهد لهم علیهم السلام زیارة قبورهم.. رغبة فی زیارتهم، [صفحه ۹۱] وتصدیقا لما رغبوا فیه، کما ورد عن الإمام الرضا علیه السلام فی ما تقدم، من أجل ذلک، وحفظا لسنن الشریعة وآدابها، لا نجد واحدا منهم علیهم السلام إلا وقد ورد فی آداب زیارته وما یقال عنده ما فیه غنی لقاصدیهم، تعلیما وتأدیبا، وما فی حفظه براءة من کل محدث مبتدع من الأمور التی قد تصدر هنا أو هناک عن بعض زوار القبور، لجهالة أو لغفلة، وفیه البراءة أیضا من کل ما لا یلیق بمقاماتهم الشریفة.. ولکون هذه الآداب والتعالیم متشابهة، نکتفی بذکر القلیل منها: ۱ - فی زیارة أمیر المؤمنین علیه السلام، عن أبی عبد الله علیه السلام: إذا أردت زیارة قبر أمیر المؤمنین علیه السلام فتوضأ واغتسل وامش علی هنیئتک، وقل: الحمد لله الذی أکرمنی بمعرفة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ومن فرض طاعته، رحمة منه وتطولا علی بالایمان.. الحمد لله الذی سیرنی فی بلاده، وحملنی علی دوابه، وطوی لی البعید ودفع عنی المکروه حتی أدخلنی حرم أخی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم... الحمد لله الذی جعلنی من زوار قبر وصی رسول الله، الحمد لله الذی هدانا لهذا وما کنا لنهتدی لولا أن هدانا الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده، وأشهد أن علیا عبد الله وأخو رسوله. ثم تدنو من القبر وتقول: السلام من الله والتسلیم علی محمد أمین الله... ثم ذکر تسلیما یعدد فیه خلال وخصال النبی صلی الله علیه وآله وسلم الحمیدة، ثم التسلیم علی أمیر المؤمنین بنحو ذلک ویکثر من الصلوات علیهما وعلی آلهما، فی ذکر طویل [۱۸۶] . [صفحه ۹۲] غیر أن هناک نصا آخر مختصرا جامعا لزیارته علیه السلام روی عن الامامین الصادق والکاظم علیهما السلام، جاء فیه: تقول عند قبر أمیر المؤمنین علیه السلام: السلام علیک یا ولی الله، أنت أول مظلوم، وأول من غصب حقه، صبرت واحتسبت حتی أتاک الیقین.. وأشهد أنک قد لقیت الله وأنت شهید.. عذب الله قاتلک بأنواع العذاب وجدد علیه العذاب.. جئتک عارفا بحقک، مستبصرا بشأنک، معادیا لأعدائک ومن ظلمک، ألقی علی ذلک ربی إن شاء الله، یا ولی الله إن لی ذنوبا کثیرة فاشفع لی إلی ربک عز وجل، فإن لک عند الله مقاما محمودا، وأن لک عند الله جاها وشفاعة، وقال تعالی: (ولا یشفعون إلا لمن ارتضی) [۱۸۷] . فالاغتسال قبل الدخول، ثم الدخول بوقار واحترام وتواضع، والوقوف أولا عن بعد وأداء السلام اللائق بعد تقدیم الحمد لله تعالی والثناء علیه بما هو أهله، ثم الدنو من القبر، وتجدید السلام بألیق الألفاظ وأجمعها لخصاله، ثم

الاستشفاع به إلى الله تعالى على هذا النحو المذكور، وما يدور فى مضمونه، تلك هى صورة الزيارة التى نقرأها فى تراث أهل البيت عليهم السلام، مع ما ورد من جواز مس القبر تبركا به. ثم يحسن بعد ذلك أداء الوداع لصاحب القبر المزور قبل الخروج، كما يودع لو كان حيا، وفيه من حسن الأدب ما لا يخفى، ومما يقال فيه بعد تجديد السلام والعهد بالولاء: اللهم إنى أسألك أن تصلى على محمد وآل محمد، ولا تجعله [صفحه ۹۳] آخر العهد من زيارته، فإن جعلته فاحشرنى مع هؤلاء الميامين الأئمة [۱۸۸] . ۲ - وهكذا ورد أيضا مع كل زيارة، فبعد أداء الزيارة للإمام الحسن عليه السلام: تقف عند قبره كوقوفك عليه عند الزيارة، وتقول: السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا مولاى ورحمة الله وبركاته، استودعك الله وأسترعيك، وأقرأ عليك السلام، آمنا بالله وبالرسول وبما جئت به ودللت عليه، اللهم اكتبنا مع الشاهدين.. ثم تسأل الله حاجتك وأن لا يجعله آخر العهد منك [۱۸۹] . ۳ - وفى زيارة قبر الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام ورد التأكيد أولا على الاغتسال بماء الفرات، ثم تراعى الخطوات الآنفة، مع ملاحظة ما يخصه عليه السلام من وقائع وأحداث: إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام فائت الفرات واغتسل بحيال قبره، وتوجه إليه وعليك السكينة والوقار حتى تدخل إلى القبر، من الجانب الشرقى، وقل حين تدخله: السلام على ملائكة الله المنزلين ويكرر السلام على ملائكة الله ببعض خصالهم فإذا استقبلت قبر الحسين عليه السلام، فقل: السلام على رسول الله ويستغرق فى السلام والصلاة عليه، ثم على أمير المؤمنين عليه السلام، ثم الإمام الحسن عليه السلام، ثم الإمام الحسين عليه السلام، ثم سائر الأئمة ثم تأتى قبر الحسين فتقول: السلام عليك يا ابن رسول الله ويستغرق فى التسليم عليه بأجمل خصاله، وكل خصاله جميلة، ويؤكد الولاء له، والبراءة من أعدائه ثم اجلس عند رأسه وقل: صلى الله عليك، [صفحه ۹۴] أشهد أنك عبد الله وأمينه، بلغت ناصحا وأديت أمينا، وقتلت صديقا، ومضيت على يقين، ولم تؤثر عمى على هدى، لم تمل من حق إلى باطل.. أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، واتبعت الرسول وتلوت الكتاب حق تلاوته، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة... ثم تحول عند رجليه وتخير من الدعاء، وتدعو لنفسك. ثم تحول عند رأس على بن الحسين وتسلم عليه بما يليق بشأنه ثم تأتى قبور الشهداء وتسلم عليهم ثم ترجع إلى القبر - قبر الحسين عليه السلام - ... وإذا أردت أن تودعه فقل: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أستودعك الله وأقرأ عليك السلام.. اللهم لا تجعله آخر العهد منا ومنه ثم يدعو له بالدرجة العالية الرفيعة [۱۹۰] . وعلى هذا النحو سار أئمة أهل البيت عليهم السلام فى تعليم المسلمين سنن الزيارة وآدابها بعد أن كانوا قد علموهم فضيلتها، ورغبوهم فيها، وحثوهم عليها. فحرى بنا التزام هذه السنن والآداب، والحذر من مجاوزتها وفقا لذوق خاص أو استحسان عقلى، فكثيرا ما ينزلق الذوق الخاص والاستحسان بصاحبه إلى ما لا أصل له فى الشريعة، وأحيانا إلى ما يتناقض مع سنن الشريعة وآدابها، ولنا فى ما ثبت عنهم عليهم السلام كفاية فى نيل فضيلة الزيارة وشرفها، فلو كانوا يرون فى غير ذلك فضلا لذكروه، وكفى بهذا حجة للمتمسك بالسنن، وكفى به زاجرا للخارج عنها. [صفحه ۹۵]

شبهات حول الزيارة

اشاره

لم يناقش أحد فى مشروعية الزيارة، بل الاتفاق حاصل على استحبابها وكونها قربة، لما ثبت فيها من النص والسيرة والأثر، وإن ناقش بعضهم فى النص، فإنه لم ينكر أصل الزيارة ومشروعيتها، وإنما وقع من بعضهم التمسك بشبهات داحضة تتصل ببعض الشؤون المتعلقة بالزيارة، وتنحصر هذه الشبهات فى ثلاثة:

حرمة شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة

لقد ثبت فى الفصول الثلاثة المتقدمة أن زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته فى نفسها مستحبة، وأنها من القربات: أولا: لأنها داخلة فى عموم زيارة القبور التى حثت عليها السنة النبوية المطهرة. ثانيا: لما ورد فيها على نحو الخصوص من تأكيد الفضيلة والاستحباب. فكيف إذا ما توقفت الزيارة على السفر ؟ وهل يجوز السفر من مكان بعيد بقصد زيارته صلى الله عليه وآله وسلم بالمرتبة الأولى ؟ ليس يخفى أن بين الفعل وبين المقدمة التى يتوقف عليها الفعل ملازمة عقلية، فلا يمكن أن يتحقق الحج ما لم يتم السفر إلى ديار الحج. وفى الاحكام الواجبة يذهب أكثر الفقهاء إلى أن مقدمتها واجبة أيضا، وهو [صفحه ۹۶] المراد بالقاعدة الفقهية المشهورة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب [۱۹۱] أما الذين لا يرون إفراد المقدمة بحكم، فلأنهم ذهبوا إلى أنه بين المقدمة وذى المقدمة ملازمة عقلية محضة لا تستدعى جعل أمر مولوى [۱۹۲] . والملازمة العقلية ثابتة بين المندوب وملازمه، من هنا ذهب أكثر الفقهاء إلى أن المقدمة التى يتوقف عليها الحكم المستحب هى مستحبة أيضا، تبعا للقول بأن المتلازمين تلازم العلة والمعلول يجب أن يأخذا حكما متماثلا.. وأدنى ما يقال إن الملازم للمندوب لابد أن يكون مباحا، فلا يمكن أن يكون محرما أو مكروها وهو شرط لازم لاتيان المستحب. ولما كانت زيارة النبى صلى الله عليه وآله وسلم مستحبة فى نفسها، وقد توقفت على السفر إلى حيث مرقده الشريف، فلا بد أن يكون السفر بقصد الزيارة مباحا، إن لم يكن مستحبا هو الآخر. ومن ناحية ثانية: فإن النصوص الواردة فى الزيارة تثبت أن السفر بقصد الزيارة قربة، أيضا، ذلك: ۱ - لان النص على الزيارة يتضمن السفر أيضا، إذ الزيارة تستدعى الانتقال إلى مكان المزور، قريبا كان أو بعيدا، فالزيارة إذ كانت تعنى الحضور عند المزور فقد استدعت الانتقال إلى المكان الذى هو فيه، وهو السفر، وإذا كانت الزيارة تعنى الانتقال إلى المزور بقصد الحضور عنده، فالسفر بهذا القصد هو المنصوص عليه إذن فى كل ما تقدم من الأحاديث الحاثة على الزيارة. [صفحه ۹۷] ۲ - ولان السفر بقصد الزيارة هو ظاهر الطلب وموضع الحث فى بعض النصوص: - كما فى قوله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) فمجيؤهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو متعلق التوبة والرحمة، فلم يطلب منهم الاستغفار وحده، بل طلب أولا مجيئهم إلى الرسول ثم الاستغفار بحضرته ليستغفر لهم هو صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا أمر صريح بالسفر إلى الرسول، وقد رأينا الاتفاق على أن مشروعيته ثابتة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما كانت ثابتة فى حياته. - وكما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة إلا زيارتى فإنه صريح فى السفر بقصد زيارته صلى الله عليه وآله وسلم، لا يشترك معها قصد آخر. - وهكذا كل حديث يقول فيه صلى الله عليه وآله وسلم: من زارنى - أو - من زار قبرى فإنه عام يدخل فيه القريب والبعيد. هذه المقدمة كافية لوحدها فى إثبات بطلان ما تمسك به البعض فى تحريم السفر بقصد الزيارة، إضافة إلى ما تنطوى عليه شبهتهم من تهافت واضح.. وهى شبهة قائمة على فهم حرفى خاطئ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا- تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى. فقال هؤلاء: هذا يعنى أن السفر إلى غير هذه الأماكن الثلاثة حرام ! وأن السفر بأى قصد غير قصد هذه الأماكن الثلاثة تعظيما، والصلاة فيها حرام ! ! قال بهذا نفر من المفرطين فى السطحية فى فهم النص، فلما انتصر له ابن تيمية [صفحه ۹۸] أصبح هو مذهب دعاة السلفية حتى اليوم.. [۱۹۳] . وهذه الشبهة مردودة، أولا: بما تقدم فى الفصول السابقة. وثانيا: بالمقدمة الآنفة الذكر. وثالثا: بالحديث الذى تمسكوا به نفسه. فالحديث يقول: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. والاستثناء هنا يعود إما إلى المساجد، فيكون المعنى: لا يجوز شد الرحال لشىء من المساجد تعظيما لها، إلا المساجد الثلاثة المذكورة فى الحديث.. وهذا هو الراجح، لأنه لا يتعارض مع أوامر الشريعة، أو حثها على شد الرحال إلى أماكن كثيرة وبمقاصد كثيرة، كما لا يتعارض مع واقع السيرة النبوية الشريفة وسيرة المسلمين، كما سيأتى. أو أنه استثناء من شد الرحال، فيكون المعنى: لا يجوز شد الرحال إلى شىء من الأماكن إلا المساجد الثلاثة.. وهذا هو الذى تمسك به أصحاب هذه الشبهة. وليس لهذا الكلام معنى إلا أن يراد به قصد مكان من الأماكن تعظيما له بذاته، ولذلك جعلوا النذر بالسفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة ليس ملزما.. وعلى هذا المعنى سوف يخرج كل سفر إلى أى مكان من الأماكن، لا بقصد تعظيمه بذاته، بل لخصوصية فيه، من حكم النهى.. فشد الرحال إلى مكان ما لغرض طلب العلم، ليس

هو تعظيما للمكان المقصود بذاته.. وشد الرحال إلى مواقع الجهاد أو لحماية الثغور أو لصلة الرحم ونحو ذلك، ليس فيه شيء من تعظيم الأماكن المقصودة، فليست هذه الأماكن هى علة السفر لعظمة شأنها، وإنما هى غاية السفر لخصوصيات فيها. [صفحه ۹۹] وهكذا يقال فى شأن الزيارة، فلم يكن موقع القبر هو علة السفر، وإنما علة السفر هو من فيه، فهو بهذا خارج أيضا عن حكم النهى. ولا يمكن قبول أى تفسير آخر للحديث يحرم السفر إلى أى مكان غير المساجد الثلاثة بأى قصد كان، فالسفر فى طلب العلم قد يرقى إلى الوجوب الكفائى أحيانا، وكم شد الرحال تابعون كبار فى طلب حديث واحد عند رجل فى مكان ناء.. والهجرة قد تجب أحيانا، كما كان فى الهجرة من مكة إلى المدينة، ولقد هاجرت أسرة ابن تيمية نفسه من حران إلى دمشق فرارا بحياتهم من المغول.. وهكذا القول مع الجهاد وسد الثغور وصلة الرحم، وإسداء النصح، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وغير ذلك من المقاصد التى حثت عليها الشريعة. وهذا ما يفسر ورود الحديث بصيغة أخرى ليس فيها نهى ولا تخصيص، فقد جاء فى رواية معمر عن الزهرى: تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد أخرجه مسلم [۱۹۴] . وقد قال بعض العلماء: الصحيح إباحة السفر لزيارة القبور والمشاهد، وجواز القصر فيه [۱۹۵] ، لان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتى قباء ماشيا وراكبا، وكان يزور القبور، وقال: زوروها تذكركم الآخرة. وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد فيحمل على نفى الفضيلة، لا على التحريم، وليست الفضيلة شرطا فى إباحة القصر، ولا يضر انتفاؤها [۱۹۶] . [صفحه ۱۰۰] والمراد بنفى الفضيلة هو أن المساجد الأخرى متساوية فى الفضل، فلا معنى لتفضيل بعضها على بعض. وقال الغزالى فى آداب السفر: القسم الثانى أن يسافر لأجل العبادة، إما لجهاد، أو حج.. ويدخل فى جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته. ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى لان ذلك فى المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء فى أصل الفضل، وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله تعالى. قال: أما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة، وسوى الثغور للرباط بها، فالحديث ظاهر فى أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة [۱۹۷] . ثم تمسك أصحاب هذه الشبهة بأن السلام والدعاء يصل الموتى من بعد، فلم يبق فى الزيارة إلا قصد الأماكن، وهو منهى عنه فى الحديث. وهذا مردود، أولا: بأن الزائر لا يقصد البقعة بذاتها، وإنما يقصد زيارة من فيها. وثانيا: هو مردود أيضا بفعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يخرج إلى البقيع مرارا، كما تقدم فى حديث عائشة، ويخرج إلى قبور الشهداء خارج المدينة، ليسلم عليهم [صفحه ۱۰۱] ويدعو لهم، وقد كان يكفيه ذلك من مكانه لو كان الامر كما يقولون، فلم كان يخرج إلى القبور ويقف عندها، ويأمر أصحابه بزيارتها ؟ هذا وقد وضع أصحاب هذه الشبهة فتاوى مختلفة، كشف عنها السبكى وكشف زورها [۱۹۸] .

ان السفر بقصد الزيارة بدعة

وهى مترتبة على الشبهة الأولى.. قال ابن تيمية، موهما كعادته، أنه ينقل عن أهل العلم إجماعهم، (قالوا: ولان السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة ولاجماع المسلمين). ثم أسند قوله هذا إلى ابن بطة وحده فى (الإبانة الصغرى). وسيسوقه هذا القول إلى التكذيب بكل الأحاديث التى وردت فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صنع ذلك، فقال: (ليس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى زيارة قبره ولا قبر الخليل حديثا ثابتا أصلا) [۱۹۹] وقال أيضا: (والأحاديث الكثيرة المروية فى زيارة قبره كلها ضعيفة، بل موضوعة، ولم يرو الأئمة ولا أصحاب السنن المتبعة كسنن أبى داوود والنسائى ونحوهما فيها شيئا) [۲۰۰] . [صفحه ۱۰۲] وفيه: ۱ - إن الأحاديث التى مر ذكرها فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله

وسلم فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف، وحتى القسم الأخير منها لم يقع فى أسانيدها من هو متهم بالكذب والوضع، فكيف يقال انها كلها موضوعة ؟ ! ۲ - لقد عاد ابن تيمية نفسه إلى كتب السنن المتبعة، ولابد له أن يعود فهى مبثوثة بين أيدى الناس، وليعترف أن الحديث فى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم قد أخرجه الدارقطنى وابن ماجة ! [۲۰۱] وفيه رد لقوله الأول. ۳ - ومن كلام ابن تيمية نفسه فى كتاب آخر له نأتى على نقيض ما اعتمده هنا، ينفيه ويثبت ضده، فهو حين كان فى معرض الحديث عن موضع رأس الحسين عليه السلام وتخطئة من يذهب إلى أنه دفن فى عسقلان أو القاهرة، قال: (فإذا كانت تلك البقع لم يكن الناس ينتابونها ولا يقصدونها، وإنما كانوا ينتابون كربلاء لان البدن هناك، كان دليلا على أن الناس فى ما مضى لم يكونوا يعتقدون أن الرأس فى شىء من هذه البقاع). ثم قال: (ولكن الذى اعتقدوه هو وجود البدن فى كربلاء، حتى كانوا ينتابونه فى زمن أحمد وغيره، حتى أن فى مسائله [۲۰۲] : (مسائل فى ما يفعل عند قبره) - أى قبر الحسين عليه السلام - ذكرها أبو بكر الخلال فى جامعه الكبير فى زيارة المشاهد) [۲۰۳] . ۴ - فى اعتماد ابن تيمية على ابن بطة مسألتان: [صفحه ۱۰۳] الأولى: ان لابن بطة كتابه المعروف ب (الإبانة الكبرى) وقد أثبت فيه خلاف ما نقله عنه ابن تيمية فى حق قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، نقله عنه السبكى [۲۰۴] . والثانية: إن ابن بطة وإن كان قد وصفوه بالصلاح غير أنهم وصفوه أيضا بالضعف والاضطراب الكثير. قال الذهبى: لابن بطة مع فضله أوهام وغلط.. وقال: قال عبيد الله الأزهرى: ابن بطة ضعيف، وعندى عنه (معجم البغوى) ولا أخرج عنه فى الصحيح شيئا. ونقل الخطيب البغدادى عن الأزهرى قوله فى ابن بطة: ضعيف، ضعيف، ضعيف، ليس بحجة [۲۰۵] . ثم إن ابن تيمية لم يذكر أحدا من الذين قال عنهم أنهم قالوا غير ابن بطة هذا ! ! ومن ناحية أخرى فقد بقى لابن تيمية والقائلين بقوله فى الموضوع حجتان: الأولى فى غاية الطرافة، إذ يقول: إن النبى ليلة الاسراء لم يذهب لزيارة قبر إبراهيم الخليل ! ! فهل فى هذا ما يحتج به على نفى مشروعية الزيارة ؟ وهل كل شىء لم يفعله النبى فى رحلة الاسراء لم يعد مشروعا ؟ فهو صلى الله عليه وآله وسلم فى رحلته تلك لم يدع أحدا إلى عبادة الله تعالى ! ولا كسر صنما ! ولا وصل رحما، ولا عاد مريضا، ولا دخل مسجدا ! ! فعل يحتج بذلك ذو منطق ؟ لقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى شغله، فى ما هو فوق ذلك كله، فى رحلة قاده فيها جبرئيل إلى حيث قاده، ثم عاد به إلى مضجعه ولما يبرد بعد. [صفحه ۱۰۴] انها واحدة من أساليب التهويل والاستحواذ على السامع والقارئ من المقلدين خاصة. والثانية داحضة هى الأخرى، وهى تمسكه بالحديث لا تجعلوا قبرى عيدا وقد اعتمد فيه الرواية المنسوبة إلى الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام، وقد رأى رجلا عند قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعو له ويصلى عليه، فقال له: لا تفعل فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تتخذوا بيتى عيدا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وصلوا على حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى. وعن هذا الخبر قال الذهبى: مرسل [۲۰۶] . وتقدم مثله عن الإمام على بن الحسين عليهما السلام، وفى إسناده رجل مجهول، وقد تقدم الحديث فيه. وحديث لا تجعلوا قبرى عيدا أخرجه أبو داود فى سننه [۲۰۷] ، وفى إسناده عبد الله بن نافع الصائغ المخزومى، قدح فيه غير واحد من أهل الجرح والتعديل: قال فيه أحمد بن حنبل: لم يكن صاحب حديث، كان ضعيفا فيه، ولم يكن فى الحديث بذاك. وقال البخارى: فى حفظه شىء، وقال أيضا: يعرف حفظه وينكر. ومثله قال أبو حاتم الرازى، وزاد: هو لين، ليس بالحافظ. ووثقه يحيى بن معين.. وقال أبو زرعة: لا بأس به.. ومثله قال النسائى. وقال ابن عدى: روى عن مالك غرائب. وذكره ابن حبان فى الثقات، وقال: كان [صفحه ۱۰۵] صحيح الكتاب، وإذا حدث من حفظه ربما أخطأ.. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالحافظ عندهم.. [۲۰۸] وهكذا اختلفوا فيه اختلافا كثيرا، يظهر منه أن الغالب عليه الضعف والخطأ فى الحفظ، لكنه لم يتهم بوضع وكذب. والنتيجة أن هذا الحديث لم يرد بطريق صحيح، فلا معنى لاحتجاج ابن تيمية به وهو يرد أحاديث الزيارة بدعوى أنها لم ترد بطرق صحيحة. وعند قبول الحديث لكون رواته غير متهمين بالوضع، مع أنه ورد فى أكثر من طريق وان اختلف اللفظ يسيرا، فلا يصح تفسيره منفردا عن الأحاديث الأخرى المتعلقة بموضوع زيارة قبره الشريف وزيارة سائر القبور، فالاجتزاء سيؤدى إلى تشويه الحقيقة، وظهورها بمظاهر متعددة، والحكم الموضوعى يقتضى النظر والتدبر فى ما يتعلق بموضوع البحث من حديث وأثر للخروج بالتصور الجامع للموضوع وأبعاده، عندئذ لا يصح تفسير العيد هنا بمطلق الوفود أو

اجتماع الناس عند القبر لقصدهم زيارته، مع وجود الأحاديث التى تحث على الزيارة، وتأييد ذلك بالأثر الثابت.. وقد تقدم الجمع بين بعض هذه الأحاديث والآثار عند مناقشة الخبر الوارد عن الإمام على بن الحسين عليهما السلام بهذا الشأن. ولهذا أيضا أورد بعض العلماء تفاسير أخرى للمراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تجعلوا قبرى عيدا.. - أن يكون المراد الحث على كثرة زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم وأن لا- يهمل حتى لا- يزار إلا- فى بعض الأوقات، كالعيد الذى لا يأتى فى العام إلا مرتين.. ويؤيده ما جاء فى الحديث نفسه: ولا تجعلوا بيوتكم قبورا أى لا تتركوا الصلاة فى بيوتكم [صفحه ۱۰۶] حتى تجعلوها كالقبور التى لا يصلى فيها. - أو أن يكون المراد لا- تتخذوا له وقتا مخصوصا لا- تكون الزيارة إلا- فيه، كما هو الحال فى بعض المشاهد التى جعل الناس يوما معينا لزيارتها، وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيها يوم بعينه، بل أى يوم كان. - أو أن يكون المراد أن لا يجعل كالعيد فى العكوف عليه والاجتماع وغير ذلك مما يعمل فى الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه [۲۰۹] . - أو أن الحديث فى غير ذلك، إذ إن الذى جاء فى حديث الحسن المثنى: لا تجعلوا بيتى عيدا ولم يذكر القبر، والقرينة على ذلك ما جاء بعده ولا- تجعلوا بيوتكم قبورا [۲۱۰] . ولأجل التناقض بين ما يفهم من حديث الحسن المثنى وهو الفهم الذى اعتمده المنكرون للزيارة، وبين ما ورد فى الزيارة من الحديث والأثر، علق الذهبى على حديث الحسن السابق الذكر قائلا: ما استدل حسن فى فتواه بطائل من الدلالة، فمن وقف عند الجمرة المقدسة ذليلا، مسلما مصليا على نبيه، فيا طوبى له، فقد أحسن الزيارة، وأجمل فى التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه فى أرضه أو فى صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه، والمصلى عليه فى سائر البلاد له أجر الصلاة فقط، فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرا، ولكن من زاره - صلوات الله عليه [صفحه ۱۰۷] - وأساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر، أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسنا وسيئا، فيعلم برفق، والله غفور رحيم. فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء إلا وهو محب لله ولرسوله، فحبه المعيار الفارق بين أهل الجنة وأهل النار. فزيارة قبره من أفضل القرب، وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء، لئن سلمنا أنه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد فشد الرحال إلى نبينا مستلزم لشد الرحل إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حجرته إلا بعد الدخول إلى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد، رزقنا الله ذلك وإياكم، آمين [۲۱۱] .

ان الزيارة تفضى إلى الشرك

قد يجاوز بعض الجهلاء الحد حين يغلبه الوجد، ولا فقه له ولا علم، فيسجد للقبر، وهذا أمر منكر لا يقره أحد بأى عذر، والواجب تعليم الجاهل وزجره عن هذا ونظائره من الافعال التى لا تستقيم مع الشرع، ولا مع أدب الزيارة، ولهذا ونظائره أوجب الله تعالى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأوجب على العالم أن يظهر علمه، وإلا لعنه الله وأبعده عن ساحة رضاه. أما ابن تيمية فقد جعل هذا ذريعة إلى تحريم الذهاب إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقصد الزيارة حتى من قرب، قائلا: إن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف فى قوله تعالى: (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا [صفحه ۱۰۸] سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قالوا: هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها... قال: وقد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال: إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنى أنهاكم عن ذلك. واحتج أيضا بحديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وعلى هذا قال: كان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر [۲۱۲] . وهذا مما لا يحتج به ذو معرفة، فهل كان على الله تعالى أن لا يبعث نبيا، سدا للذرائع، إذا كانت أمة سالفة قد عبدت نبيها وألهته ؟ ! أم عليه تعالى إذا بعث نبيا ألا يميته ؟ ! وإذا أماته أن يرفعه إلى السماء لئلا يدفن بين أمته فيتخذون قبره مسجدا ؟ ! لقد بينت الشريعة التوحيد وحدوده، والشرك وحدوده، وحتى الشرك الأصغر، ليجتنبه الناس ولا يخلطون بعباداتهم، وطاعاتهم وأعمالهم ومعتقداتهم

شيئا مما يدخل تحت عنوان الشرك، ليبقى الواجب واجبا، والمندوب مندوبا، والمباح مباحا، كل على صورته المشروعة، وما يظهر من بدع فى طريق الناس وأساليبهم يرد عليهم، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: من أدخل فى أمرنا ما ليس منه فهو رد. وقد أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين بزيارة قبور إخوانهم، فهل يعنى أنه أباح لهم إقامة الأوثان عليها والسجود لها؟ [صفحه ۱۰۹] لقد أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بها بعد أن علمهم آدابها وسننها، ونهاهم عن المحرم فيها، وهذا هو الأصل فى الزيارة فى غيرها. ولقد كان النصارى حتى قبل ظهور نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يشركون بالله فى صلواتهم فيجعلونه ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فهل من واجب الموحد فيهم أن ينهاهم عن الصلاة لما خالطها من شرك ! ! أم الواجب عليه تبيين حدودها وآدابها ونفى كل ما خالطها من بدع وضلالات ؟ أم كان على خاتم الأنبياء أن يحرم الصلاة سدا للذرائع ؟ ! هذا مما لا يقوله عاقل.. غير أن عادة ابن تيمية التهويل فى الأمور، وإغراء الناس بالايهام والمغالطة والتلبيس، وقد يسوق هذا إلى الكذب والافتراء، وكثيرا ما وقع فيهما ! ! وها هو الآن يرتكبهما فى قوله: (كان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة ولم يستقبلوا القبر). وافترى على مالك بن أنس وكذب فيه المالكية كلهم، ومذهبهم قائم على هذا، وقد نقلوه عن إمامهم مالك بأسانيدهم العالية عن أوثق أصحابه وأكثرهم معرفة به.. وحتى لو صح مدعاه، ولا يصح، فإنما هو عليه، لا له، ففيه شهادة بزيارتهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم والدعاء عنده، ولا يضر فى ذلك استقبال القبر عند الدعاء أو استدباره واستقبال القبلة. وقد قدمنا على الهيئتين كثيرا من أثر السلف. ويغض ابن تيمية الطرف عن كل ما لا يوافق هواه من أثر السلف.. وحين يختلف من السلف اثنان يتمسك هو بمذهب المروانية منهم ويهجر من خالفه، ولو كان من أشرف الصحابة، وأكثرهم علما.. فلقد وقع النزاع فى شىء من هذا عند القبر الشريف بين مروان بن الحكم وبين [صفحه ۱۱۰] أبى أيوب الأنصارى: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدرى ما تصنع ؟ فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه، فقال: نعم، إنى لم آت الحجر، إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله ! أخرجه أحمد فى مسنده، وصححه الحاكم والذهبى [۲۱۳] . نعم، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله.. ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.. ومن غريب اختلاقات ابن تيمية هنا قوله: فهم دفنوه فى حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحراء، لئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذه مسجدا، فيتخذ قبره وثنا ! وهذا تهويل وافتراء، فما كان شىء من هذا يدور فى خلد أحدهم وإنما دفنوه هناك لقولهم إن الأنبياء يدفنون حيث قبضوا، بل رفعوا القول إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، قال المؤرخون: لما توفى النبى اختلفوا فى موضع دفنه، فقال قائل: فى البقيع، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الاستغفار لهم.. وقال قائل: عند منبره.. وقال قائل: فى مصلاه.. فجاء أبو بكر فقال: إن عندى من هذا خبرا وعلما، سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم [صفحه ۱۱۱] يقول: ما قبض نبى إلا دفن حيث توفى [۲۱۴] . هذه رواية ابن إسحاق والواقدى، أما فى رواية أبان بن عثمان الأحمر فإن قائل ذلك هو على عليه السلام، قال أبان: وخاض المسلمون فى موضع دفنه، فقال على عليه السلام: إن الله سبحانه لم يقبض نبيا فى مكان إلا وارتضاه لرمسه فيه، وإنى دافنه فى حجرته التى قبض فيها فرضى المسلمون بذلك [۲۱۵] . وأيا كان القائل، فإن ما ذكره ابن تيمية لم يكن ليخطر ببال أحدهم على الاطلاق، ناهيك عما تنطوى عليه كلمته من تصور الاجماع أو ما هو قريب به ! ! تلك هى شبهاتهم، لا تقوم إلا على الذوق الخاص الذى لا يستقيم مع منطق متجرد، ولا يسنده دليل.. [صفحه ۱۱۵]

التوسل أقسامه وأدلته

التوسل لغة واصطلاحا

توسل إلى الله بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل. ووسل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملا تقرب به إليه. وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه. والوسيلة: القربة.. والدرجة.. والمنزلة عند الملك. وفى حديث الآذان: اللهم آت محمدا الوسيلة هى فى الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، والمراد به فى الحديث: القرب من الله تعالى، وقيل: هى الشفاعة يوم القيامة. وقيل: هى منزلة من منازل الجنة. هكذا قال ابن منظور [۲۱۶] . وقال الراغب: الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهى أخص من الوصيلة بتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة). وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى - كما قال الراغب - مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحرى مكارم الشريعة، وهى كالقربة [۲۱۷] . وقد ورد لفظ الوسيلة فى القرآن الكريم فى موضعين: الأول: فى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون) [۲۱۸] . [صفحه ۱۱۶] قال أهل التفسير: أى اطلبوا إليه القربة بالطاعات، فكأنه قال: تقربوا إليه بما يرضيه من الطاعات [۲۱۹] . قال الرازى: الوسيلة، فعيلة، من وسل إليه إذا تقرب إليه. قال لبيد الشاعر:أرى الناس لا يدرون ما قد أمرهم ألا كل ذى لب إلى الله واسلأى متوسل. فالوسيلة هى التى يتوسل بها إلى المقصود [۲۲۰] . واستنتج السيد الطباطبائى مما تقدم فى معنى الوسيلة أنها ليست إلا توصلا واتصالا معنويا بما يوصل بين العبد وربه ويربط هذا بذاك، ولا رابط يربط العبد بربه إلا ذلة العبودية، فالوسيلة هى التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه وجه المسكنة والفقر إلى جنابه تعالى، فهذه هى الوسيلة الرابطة، وأما العلم والعمل فإنما هما من لوازمها وأدواتها كما هو ظاهر، إلا أن يطلق العلم والعمل على نفس هذه الحالة. وفى الترابط بين المفردات الثلاثة: تقوى الله وابتغاء الوسيلة والجهاد فى سبيله الواردة فى الآية عرض السيد الطباطبائى صورة رائعة متماسكة، خلاصتها أن الامر بابتغاء الوسيلة بعد الامر بالتقوى، ثم الامر بالجهاد فى سبيل الله بعد الامر بابتغاء الوسيلة، هو من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتماما بشأنه [۲۲۱] . فابتغاء الوسيلة إذن وهو التماس ما يقرب العبد إلى ربه، أخص من التقوى العامة فى اجتناب المعاصى والعمل بالطاعات. [صفحه ۱۱۷] والموضع الثانى: فى قوله تعالى: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) [۲۲۲] . والآية هنا فى معرض الرد على أقوام يعبدون الملائكة، أو يؤلهون المسيح وعزيرا عليهما السلام، فقالت الآية ان أولئك الذين تدعونهم من ملائكة وأنبياء إنما هم فى أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه [۲۲۳] . والوسيلة هنا لم تخرج عن معناها الأول، فهى التوصل والتقرب. وربما استعملت بمعنى ما به التوصل والتقرب، ولعله الأنسب بالسياق [۲۲۴] . ومن كل ما تقدم يعلم أن التوسل إنما هو اتخاذ الوسيلة المقصود، ومعه يكون الأنسب فى معنى الوسيلة أنها ما يتم به التوصل والتقرب. هذا هو التوسل فى معناه اللغوى الجامع. أما التوسل إلى الله تعالى فى معناه الاصطلاحى، فهو أن يتقرب العبد إلى الله تعالى بشيء يكون وسيلة لاستجابة الدعاء ونيل المطلوب [۲۲۵] وهو ما جاء به قوله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) فهم بعد استغفارهم يتخذون من استغفار الرسول لهم وسيلة لنيل توبة الله عليهم ورحمته إياهم. وهذا توسل بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته. [صفحه ۱۱۸] ولم ينحصر أسلوب التوسل المأمور به شرعا، أو الآخر الذى أباحته الشريعة، بهذا اللون بل تعددت أساليبه بتعدد الوسائل المعتمدة فيه، كما سيأتى فى مبحث أقسام التوسل. ومن هنا يمكن ملاحظة أكثر من مصطلح آخر قد يكون مرادفا للتوسل بهذا المعنى، منها: ۱ - الاستشفاع: أو التشفع، وهو اتخاذ الشفيع إلى الله تعالى لاستجابة الدعاء ونيل القرب والرضا. وقد كان الاستشفاع بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبدعائه فى حياته ثابت فى سلوك المسلمين وثقافتهم، كما هو ثابت أيضا بعد وفاته، والاجماع قائم على تحقق شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لامته يوم القيامة. والشفيع بمثابة الوسيلة فى الدعاء وطلب القربى. ۲ - الاستغاثة: وهى طلب الإغاثة من المستغاث به، إلى المستغاث والمغيث وهو الله تعالى. ۳ - التوجه: وهو التوجه إلى الله تعالى بما له وجه عنده. ۴ - التجوه: وهو مثل التوجه، فهو سؤال الله تعالى بما له وجاهة عنده. فالوسيلة فى التوسل، هو الشفيع فى الاستشفاع، وهو المستغاث به فى الاستغاثة، وهو المتوجه به فى التوجه، والمتجوه به فى التجوه. ولا عبرة فى اختلاف الألفاظ أو الاختلاف فيها، ما دام المعنى واحدا، وهو سؤال الله تعالى بالنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو بغيره مما له عند الله تعالى منزلة مقطوع بها. [صفحه ۱۱۹]

اقسام التوسل

اشاره

التوسل فی معناه واحد، لا یمکن تقسیمه من هذا الوجه، غیر أنه من حیث تعیین المتوسل به - أی الوسیلة - یتعدد بتعدد الوسائل، فلیس کل شیء یصلح أن یکون وسیلة إلی الله تعالی، وإنما هناک وسائل أمر الشارع ببعضها وشرع البعض الآخر علی نحو الإباحة أو الاستحباب. وأقسام التوسل بهذا الاعتبار هی:

التوسل بالله تعالی

الله تبارک وتعالی أقرب إلی المرء من نفسه، وأعلم به من نفسه، وأرحم به من کل شیء، فهو (الرحمن الرحیم) وهو (أرحم الراحمین) فجاز التوسل به تعالی إلیه لنیل رضاه، وهو فی نهایة الیقین به تعالی والوثوق به والاعتماد علیه. وقد جاء فی دعاء النبی صلی الله علیه وآله وسلم عند النوم: اللهم إنی أعوذ برضاک من [صفحه ۱۲۰] سخطک، وبمعافاتک من عقوبتک، وأعوذ بک منک [۲۲۶] . وفی هذا الباب یدخل کل دعاء یکون الله جل جلاله هو المخاطب فیه، فقولک: اللهم اغفر لی ذنبی، اللهم ارحمنی، اللهم إنی أسألک رضاک وغیر ذلک إنما هو توسل بالله تعالی لنیل المغفرة، والرحمة، والرضوان. ومن مفاتح هذا الباب: قوله تعالی: (وقال ربکم ادعونی أستجب لکم) [۲۲۷] . وقوله تعالی: (وإذا سألک عبادی عنی فإنی قریب أجیب دعوة الداع إذا دعان) [۲۲۸] . - ومما یظهر فیه معنی التوسل من هذا القسم، الدعاء المأثور: اللهم إنی أعوذ بک من زوال نعمتک، ومن تحول عافیتک، ومن فجأة عقوبتک، ومن جمیع سخطک [۲۲۹] . - وکم هی جلیة عظمة هذا القسم من التوسل، لما یتمیز به من درجات الیقین بالله والاحساس الأکبر بالقرب منه، کما نلمسه فی دعاء الإمام زین العابدین علیه السلام : لا شفیع یشفع لی إلیک، ولا خفیر یؤمننی علیک، ولا حصن یحجبنی عنک، ولا ملاذ ألجأ إلیه منک.. ولا أستشهد علی صیامی نهارا، ولا أستجیر بتهجدی لیلا... ولست أتوسل إلیک بفضل نافلة مع کثیر ما أغفلت من [صفحه ۱۲۱] وظائف فروضک... هذا مقام من استحیا لنفسه منک [۲۳۰] . فهو علیه السلام یستبعد الشفعاء بینه وبین بارئه الذی إلیه مآبه، وینحی کل وسیلة، رغم إمکان الاستشفاع والتوسل، کما هو واضح فی قوله: ولست أتوسل إلیک بفضل نافلة مع کثیر ما أغفلت من وظائف فروضک فهو لفرط استحیائه من خالقه یستحی أن یقدم طاعاته وسیلة بین یدی دعائه خشیة أن یکون قد فرط فی أداء شیء من وظائف الفروض. إنه یجعل الله تعالی هو شفیعه وهو وسیلته إلی القرب منه ونیل رضاه. - ومن دعائه علیه السلام: وأشبه الأشیاء بمشیتک، وأولی الأمور بک فی عظمتک، رحمة من استرحمک، وغوث من استغاث بک [۲۳۱] . - وله علیه السلام أیضا: ویا غوث کل مخذول فرید، ویا عضد کل محتاج طرید [۲۳۲] . - وقوله علیه السلام أیضا: وبک استغاثتی إن کرثت [۲۳۳] . - وقوله علیه السلام: وأستجیر بک الیوم من سخطک، فصل علی محمد وآله وأجرنی [۲۳۴] . - وقوله الذی یحقق هذه المعانی کلها: فنادیتک یا إلهی مستغیثا بک، واثقا بسرعة إجابتک، عالما أنه لا یضطهد من آوی إلی ظل کنفک، ولا یفزع من لجأ إلی معقل انتصارک [۲۳۵] . [صفحه ۱۲۲]

التوسل بأسماء الله الحسنی و صفاته جل جلاله

قال تعالی: (ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها) [۲۳۶] . وهو أمر صریح بدعاء الله تعالی بأسمائه الحسنی، وغالبا ما یأتی الدعاء بالأسماء الحسنی علی صیغة التوسل والاستغاثة، وهو إذ یؤکد أن الدعاء هو توسل واستغاثة بالله تعالی إلیه ولنیل المطلوب لدیه، یضیف أسلوبا جدیدا من أسالیب التوسل والاستغاثة.. قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: لله تسعة وتسعون اسما، من دعا الله بها استجیب له [۲۳۷] . - وقد جاء فی دعائه صلی الله علیه وآله وسلم: یا حی یا قیوم، برحمتک أستغیث. - وفی قوله صلی الله علیه وآله وسلم یعلم

ابنته فاطمة عليها السلام أن تقول: يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك [۲۳۸] . - ومن حديثه صلى الله عليه وآله وسلم: ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضائك.. أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله [صفحه ۱۲۳] همه وغمه، وأبدله مكانه فرحا. قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمها ؟ يريدون هذه الكلمات. قال: ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها [۲۳۹] . - وأخرج الترمذي من حديث بريدة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلا يقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى [۲۴۰] . - وأخرج الترمذي أيضا من حديث أنس بن مالك أنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجل يصلي، فدعا الرجل: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والاكرام، يا حي يا قيوم) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: تدرون بم دعا الله ؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى [۲۴۱] . - ومن حديث محجم بن الأدرع، أخرجه الحاكم: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد، فإذا هو برجل قد صلى صلاته وهو يتشهد ويقول: اللهم إني أسألك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قد غفر له، قد غفر، قد غفر له قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي [۲۴۲] . [صفحه ۱۲۴] والحديث في مثل هذا وأشباهه كثير جدا. وفي الدعاء النبوي الشريف: اللهم إني أسألك باسمك الأعظم [۲۴۳] ، اللهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون [۲۴۴] ، اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى [۲۴۵] . - وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام: فأسألك اللهم بالمخزون من أسمائك [۲۴۶] . - وفي دعاء الإمام الباقر عليه السلام: اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم، الأعز الاجل الأكرم، الذي إذا دعيت به على مغاليق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت، وإذا دعيت به على مضايق أبواب الأرض للفرج انفرجت... الدعاء [۲۴۷] . والتوسل بأسماء الله الحسنى كثير جدا في الدعاء المأثور، وعليه إجماع المسلمين، لا يخالف فيه أحد. - ومن صريح التوسل بصفاته: دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون [۲۴۸] . - ودعاؤه أيضا: اللهم صل على محمد وآله، وشفع في خطاياي كرمك.. اللهم ولا شفيع لي إليك فليشفع لي فضلك [۲۴۹] . [صفحه ۱۲۵] - وفي الدعاء النبوي الشريف: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك [۲۵۰] . اللهم إني أعوذ بنور وجهك الكريم وكلماتك التامة [۲۵۱] .

التوسل بالثناء على الله والصلاة على النبي وآله

وهو أن يستفتح الداعي دعاءه بحمد الله تعالى بما هو أهل له من الحمد، والثناء عليه، وأن يصلي على النبي محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن ذلك أقرب في استجابة الدعاء ونيل المطلوب. قال الإمام الصادق عليه السلام: إياكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربه شيئا من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على الله عز وجل والمدح له، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يسأل الله حاجته [۲۵۲] . وقال: إن العبد لتكون له الحاجة إلى الله تعالى فيبدأ بالثناء على الله والصلاة على محمد وآله حتى ينسى حاجته، فيقضيها من غير أن يسأله إياها [۲۵۳] . وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلي على وعلى أهل بيتي [۲۵۴] . وفي حديث الإمام علي عليه السلام: كل دعاء محجوب حتى يصلي على محمد وآل [صفحه ۱۲۶] محمد [۲۵۵] . من هنا تجد الحمد لله والثناء عليه والصلاة على النبي وآله تتصدر الكثير من الأدعية المأثورة، ولعل أوضح ما تكتشف فيه هذه الظاهرة هي أدعية الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية التي تكاد كلها تستهل بالحمد والصلاة، بل إن الصلاة

علی النبی وآله تتصدر الغالبیة العظمی فی فقراتها. ومن صریح دعائه متوسلا بالصلاة، قوله علیه السلام: وصل علی محمد وآله صلاة دائمة نامیة، لا انقطاع لأبدها، ولا منتهی لأمدها، واجعل ذلک عونا لی، وسببا لنجاح طلبتی، إنک واسع کریم [۲۵۶] .

التوسل بالقرآن الکریم

کما ورد سؤال الله تعالی بأسمائه وصفاته وأفعاله، ورد أیضا سؤاله جل شأنه بالقرآن الکریم، وهو کتابه المنزل وکلامه المحکم. عن عمران بن الحصین: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: اقرأوا القرآن، واسألوا الله تبارک وتعالی به، قبل أن یجیء قوم یسألون به الناس [۲۵۷] . فکما یفیده عموم اللفظ من إرادة القربة ونیل الثواب والمنزلة بقراءة القرآن، فإنه یفید أیضا جواز سؤال الله تعالی به، وتقدیمه بین یدی الدعاء. وفی حدیث الإمام علی علیه السلام ما یبین ذلک، قال علیه السلام: واعلموا أن هذا القرآن هو [صفحه ۱۲۷] الناصح الذی لا یغش... فاسألوا الله به، وتوجهوا إلیه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلی الله تعالی بمثله [۲۵۸] . وفی دعاء الإمام زین العابدین علیه السلام: واجعل القرآن وسیلة لنا أشرف منازل الکرامة... اللهم صل علی محمد وآل محمد واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار... وهون بالقرآن عند الموت علی أنفسنا کرب السیاق وجهد الأنین.. [۲۵۹] . وفی حدیث أهل البیت علیهم السلام: اللهم إنی أسألک بکتابک المنزل وما فیه، وفیه اسمک الأکبر وأسماؤک الحسنی، وما یخاف ویرجی، أن تجعلنی من عتقائک من النار [۲۶۰] . ومما لا نزاع فیه أن القرآن یشفع لصاحبه یوم القیامة. قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: تعلموا القرآن فإنه شافع یوم القیامة [۲۶۱] . وقال صلی الله علیه وآله وسلم: الصیام والقرآن یشفعان للعبد یوم القیامة [۲۶۲] . وفی حدیث الإمام علی علیه السلام فی القرآن، وقد تقدم طرف منه، یقول: واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن یوم القیامة شفع فیه [۲۶۳] . [صفحه ۱۲۸]

التوسل بالأیام المبارکة

الأیام التی جعل الله تعالی لها شأنا خاصا هی الأخری باب من أبواب التوسل والاستشفاع. فقد جاء فی دعاء الإمام زین العابدین علیه السلام فی شهر رمضان المبارک: اللهم إنی أسألک بحق هذا الشهر [۲۶۴] .

التوسل بالاعمال الصالحة

إذا کان المراد بقوله تعالی: (وابتغوا إلیه الوسیلة) هو إتیان الطاعات المقربة إلی الله تعالی، کما تقدم عن المفسرین، فالطاعات إذن هی الوسیلة إلیه تعالی هنا، وبها یتوسل العبد لنیل القربة والمنزلة عند بارئه. ولم یقتصر التوسل بالاعمال الصالحة علی أدائها فقط، بل تضمن أیضا التوسل بها إلی الله تعالی بالدعاء رجاء لنیل المطلوب، من کشف الغم والهم، أو رفع الدرجة، ونیل الرضوان. وهذا المعنی منطو فی دعاء إبراهیم وإسماعیل علیهما السلام بعد أن بنیا البیت العتیق، إذ قدما عملهما المبارک بین یدی الدعاء، قال تعالی: (وإذ یرفع إبراهیم القواعد من البیت وإسماعیل ربنا تقبلمنا إنک أنت السمیع العلیم ربنا واجعلنا مسلمین لک ومن ذریتنا أمة مسلمة لک وأرنا مناسکنا وتب علینا إنک أنت التواب الرحیم) [۲۶۵] . [صفحه ۱۲۹] وروی البخاری وغیره حدیث رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقص علی أصحابه قصة الثلاثة الذین انطبق علیهم الغار، فتوسلوا بأعمالهم الصالحات ففرج عنهم، قال صلی الله علیه وآله وسلم: بینما ثلاثة نفر ممن کان قبلکم یمشون إذ أصابهم المطر، فآووا إلی غار، فانطبق علیهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله یا هؤلاء لا ینجیکم إلا الصدق، فلیدع کل رجل منکم بما یعلم أنه صدق فیه. فقال واحد منهم: اللهم إن کنت تعلم أنه کان لی أجیر عمل لی علی فرق [۲۶۶] من أرز، فذهب وترکه، وإنی عمدت إلی ذلک الفرق فزرعته، فصار من أمره أنی اشتریت منه بقرا، وأنه أتانی یطلب أجره، فقلت: اعمد إلی تلک البقر فسقها، فقال لی: إنما لی عندک فرق من أرز ! فقلت له: اعمد إلی تلک البقر، فإنها من ذلک

الفرق.. فساقها.. فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك، ففرج عنا... فانساحت عنهم الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم كان لى أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى، فأبطأت عنهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلى وعيالى يتضاغون [۲۶۷] من الجوع فكنت لا أسقيهم أوقظهما، وكرهت أن أدعهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا.. فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى ابنة عم من أحب الناس إلى، [صفحه ۱۳۰] وأنى راودتها عن نفسها، فأبت، إلا أن آتيها بمئة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها، فدفعتها إليها، فأمكنتنى من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه ! فقمت وتركت المئة دينار.. فإن كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك، ففرج عنا... ففرج الله عنهم فخرجوا [۲۶۸] . ولم يكن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يريد بهذا الحديث أن يمتع أصحابه بقصة من قصص الغابرين، إنما كان يريد ما فيها من دروس وعبر، فهى بعد ما تتركه من أثر وثيق فى شحذ الأرواح وزيادة اليقين، تؤدى دور التعليم لواحد من سبل الخلاص من الشدائد، ألا وهو التوسل بالاعمال الصالحات. وفى بعض التفاسير أن المراد بأصحاب الرقيم فى قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) [۲۶۹] هم هؤلاء النفر الثلاثة. قال الطبرسى، فى ذكر الوجوه الواردة فى معنى الرقيم: وقيل أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا فى غار، فانسد عليهم، فقالوا: ليدع الله تعالى كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا، ففعلوا، فنجاهم الله. قال: رواه النعمان بن بشير، مرفوعا [۲۷۰] . – وفى هذا الباب أيضا التوسل بالكشف عن الاعتقاد المرضى عند الله جل شأنه، كالذى يستفاد من قوله تعالى: (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) [۲۷۱] فقدموا الايمان وسيلة بين يدى دعائهم. [صفحه ۱۳۱] وفى ذلك من دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام شىء كثير: – ففى دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الاحد.. [۲۷۲] . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم أنى أسألك بأنى أشهد أنك الله لا إله إلا أنت [۲۷۳] . – وفى دعاء الإمام زين العابدين صلى الله عليه وآله وسلم: ووسيلتى إليك التوحيد، وذريعتى أنى لم أشرك بك شيئا ولم أتخذ معك إلها [۲۷۴] .

التوسل بدعاء الغير

للمؤمن عند الله تعالى كرامة.. من هنا جعل الله للمؤمن شفاعة فى إخوانه وذويه من المؤمنين يوم القيامة، بل فى الدنيا أيضا، ففى الحديث الشريف: قد أجرنا من أجرت أم هانئ [۲۷۵] لما استجار بها قوم من المشركين يوم الفتح، والجوار معروف فى الاسلام ومحفوظ. ودعاء المؤمن لأخيه المؤمن فى الغيب من الدعوات المجابة، ومن الدعوات التى يستحب للمؤمن فعلها. ففى الحديث الشريف: إن دعوة المسلم مستجابة لأخيه بظهر الغيب [۲۷۶] . [صفحه ۱۳۲] بل قد جاء فى الحديث الشريف الحث على التوسل بدعاء بعض المؤمنين بأعيانهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن رجلا من أهل اليمن يقدم عليكم.. يقال له أويس، فمن لقيه منكم فليأمره فليستغفر لكم [۲۷۷] . وقصة عمر بن الخطاب فى طلب أويس القرنى والتماس دعوته مشهورة [۲۷۸] . فى ترجمة أويس، قال الذهبى بعد أن ذكر عدة أحاديث فى التماس عمر دعاءه، قال: نادى عمر بمنى على المنبر: يا أهل قرن.. فقام مشايخ، فقال لهم عمر: أفيكم من اسمه أويس ؟ فقال شيخ: يا أمير المؤمنين ذاك مجنون يسكن القفار، لا يألف، ولا يؤلف. قال: ذاك الذى أعنيه، فإذا عدتم فاطلبوه، وبلغوه سلامى وسلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فقال أويس – لما بلغه ذلك –: عرفنى، وشهر باسمى ؟ ! اللهم صل على محمد وعلى آله، السلام على رسول الله، ثم هام على وجهه، فلم يوقف له بعد ذلك على أثر دهرا، ثم عاد فى أيام على عليه السلام، فاستشهد معه بصفين، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة [۲۷۹] . وكل هذا صريح فى التوسل بدعاء المؤمن، فهو مرتبة من مراتب التوسل. وأشرف المؤمنين على الاطلاق هو سيد البشر أجمعين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أمر الله تعالى بالتماس دعوته وإتيانه لطلب دعائه [صفحه ۱۳۳] واستغفاره. قال تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) [۲۸۰] . وقال تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا

رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) [۲۸۱] . والتوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم مشهور بين الصحابة. قال ابن تيمية: وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم، فيدعو لهم، ويدعون معه، ويتوسلون بشفاعته ودعائه، كما فى الصحيح عن أنس بن مالك: أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله لنا أن يمسكها عنا. فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال، وأقلعت، فخرجنا نمشى فى الشمس [۲۸۲] . ذلك كان بعد أن سألوه الاستسقاء، فاستسقى لهم، فسقاهم الله مطرا غزيرا.. روى البخارى ومسلم: أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال [صفحه ۱۳۴] وانقطعت السبل، فادع لنا الله تعالى يغيثنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتا [۲۸۳] أى أسبوعا كاملا. وفى سنن أبى داود، عن جبير بن مطعم، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعرابى، فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الانعام، فاستسق لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. قال صلى الله عليه وآله وسلم: ويحك، أتدرى ما تقول ؟ ! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك [۲۸۴] . فقد أنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله. وفى دلائل النبوة للبيهقى، عن أنس بن مالك: جاء أعرابى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أتيناك وما لنا من صبى يصطبح، ولا بعير ينط، وأنشد:أتيتك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت أم الصبى عن الطفل وألقى بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع هونا ما يمر ولا يحلى ولا شىء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامى والعلهز الفسلوليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر، فرفع يديه، ثم قال: اللهم [صفحه ۱۳۵] اسقنا.. وذكر الدعاء، ثم قال فما رد النبى يده حتى ألقت السماء بأرواقها، وجاء أهل البطانة يضجون: الغرق الغرق ! فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل، وضحك النبى حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله در أبى طالب، لو كان حيا قرت عيناه، من ينشدنا قوله ؟ فقال على بن أبى طالب عليه السلام: يا رسول الله كأنك تريد قوله: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل يطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضلكذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضلونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أجل فقام رجل من كنانة، رضى الله تعالى عنه، فقال: لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبى المطر إلى قوله: فكان كما قال عمه أبو طالب أبيض ذو غرر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن يك شاعر أحسن فقد أحسنت [۲۸۵] . وقال ابن تيمية: وفى الصحيح أن عبد الله بن عمر قال: إنى لأذكر قول أبى طالب فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل [۲۸۶] . [صفحه ۱۳۶] وهذا مما لا خلاف فيه.

التوسل بالأنبياء والصالحين

وفى هذا القسم من التوسل أقسام، هى: أ - التوسل بدعائهم فى حياتهم، وقد تقدم فى الفقرة السابقة. ب - التوسل بهم فى حياتهم. ج - التوسل بهم وبدعائهم بعد موتهم. والقسمان الأخيران (ب، ج) مما وقع فيه الكلام الذى يستدعى مزيدا من النقد والمطارحة، لذا فقد أفردنا له الفصل الآتى، مستوعبين خلاله الشبهات المثارة حول هذين القسمين من التوسل وردودها. [صفحه ۱۳۷]

التوسل بالأنبياء والصالحين

اشاره

تقدم أن هذا القسم من التوسل ينقسم إلى ثلاثة أقسام، كما تقدم بحث القسم الأول منه وهو التوسل بدعائهم فى حياتهم، ويتكفل هذا الفصل بحث القسمين الآخرين:

التوسل بالأنبياء والصالحين فى حياتهم

المراد هنا التوسل بالأنبياء والصالحين بأنفسهم وذواتهم، لما لهم عند الله من شأن ومنزلة، وأمثلته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته كثيرة. - فقد تقدم قول الاعرابى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: (فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك) ورد النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليه قوله الأخير (نستشفع بالله عليك) مقرا قوله الأول (فإنا نستشفع بك على الله). وهو صريح فى جواز الاستشفاع بالنبى نفسه إلى الله تعالى، لمنزلته الشريفة عنده ومقامه المحمود لديه. - كما تقدم ذكر أبيات أبى طالب فى الاستشفاع بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، وليس [صفحه ۱۳۸] بدعائه وحسب، وإقرار النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأبيات واستبشاره بها. - وفى الصحيح الثابت أيضا توسل الأعمى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى دعاء علمه إياه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه.. عن عثمان بن حنيف: إن رجلا ضريرا أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادع الله أن يعافينى. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، وهو خير لك. قال: فادعه. إلى هنا يظهر من الحديث أن الرجل كان يتوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم له، غير أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سينقله إلى أسلوب آخر من أساليب التوسل، فبدلا من أن يدعو له بالشفاء، علمه دعاء يدعو به صاحب الحاجة نفسه.. يقول الحديث: فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد، إنى أتوجه بك إلى ربى فيجلى لى عن بصرى، اللهم فشفعه فى. قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وما طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط [۲۸۷] . ابن تيمية روى هذا الخبر عن البيهقى، ثم قال: (قال البيهقى: ورواه أحمد بن شبيب بن سعيد، عن أبيه، بطوله. ورواه أيضا هشام الدستوائى عن أبى جعفر، عن أبى أمامة بن سهل، عن عمه عثمان بن [صفحه ۱۳۹] حنيف). ثم واصل ابن تيمية قائلا: (قلت: وقد رواه ابن السنى فى كتاب عمل اليوم والليلة، من طريقين، وشبيب هذا صدوق روى له البخارى) [۲۸۸] . وقال أيضا: (وقد روى الطبرانى هذا الحديث فى المعجم) ثم ذكر الحديث بطوله بإسناد آخر إلى أن قال: (قال الطبرانى: روى هذا الحديث شعبة، عن أبى جعفر - واسمه عمير بن يزيد - وهو ثقة، تفرد به عثمان بن عمير عن شعبة، قال أبو عبد الله المقدسى: والحديث صحيح). قال: (قلت: والطبرانى ذكر تفرده بمبلغ علمه، ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة، وذلك إسناد صحيح يبين أنه لم ينفرد به عثمان بن عمير) [۲۸۹] . لكنه مع هذا كله، ومع وضوح النص النبوى، يقول: فهذا طلب من النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمره أن يسأل الله أن يقبل شفاعة النبى له فى توجهه بنبيه إلى الله، وهو كتوسل غيره من الصحابة به إلى الله، فإن هذا التوجه والتوسل هو توجه وتوسل بدعائه وشفاعته ! [۲۹۰] . ويستنتج من ذلك وأمثاله مما تقدم ذكره أن الصحابة كانوا يطلبون من النبى الدعاء، وهذا مشروع فى الحى [۲۹۱] . وفى هذا مصادرة على الحقيقة غير خافية، ففرق كبير بين أن يطلب أحد الدعاء من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فيدعو له، وبين أن يطلب منه الدعاء، فيعلمه أن يدعوا بنفسه ويتوسل فى دعائه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وسيلة وشفيعا. ففى الأول يتولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم [صفحه ۱۴۰] الدعاء للسائل الذى توسل بدعائه له، وهو مرتبة من مراتب التوسل، وفى الثانى يتولى المرء نفسه الدعاء متوسلا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم نفسه. والامر واضح، لا سيما وفى الحديث عبارة صريحة تقول: يا محمد يا رسول الله، إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى. فهو توجه صريح بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، وتوسل به نفسه إلى الله تعالى، ولا يؤثر على هذا المعنى ما جاء بعده من قوله اللهم فشفعه فى لان هذه هى غاية التوسل والتوجه والاستشفاع، سواء كان توسلا بالدعاء، أو كان توسلا بذات النبى صلى الله عليه وآله وسلم. كما أن قول الاعرابى المتقدم الذكر (ادع لنا) الذى يفيد التوسل بدعائه

صلى الله عليه وآله وسلم لا يلغى دلالة قوله: (فإنا نستشفع بك على الله) بعد إقرار النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا القول الذى هو صريح بالتوسل بذاته الشريفة. ومثله فى صراحة التوسل بذاته الشريفة قول أبى طالب الذى استبشر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل ومثل هذا فى الدعاء كثير، نكتفى منه بما أثبته ابن تيمية نفسه من حديث ابن ماجة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر فى دعاء الخارج للصلاة، أن يقول: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى هذا، فإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا، ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم نقل بعض أهل العلم أنهم قالوا: ففى هذا الحديث أنه سأل بحق السائلين عليه [صفحه ۱۴۱] وبحق ممشاه إلى الصلاة، والله تعالى قد جعل على نفسه حقا، قال الله تعالى: (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) [۲۹۲] ونحو قوله: (كان على ربك وعدا مسؤولا) [۲۹۳] . وفى الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له: يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ؟. قال: الله ورسوله أعلم. قال صلى الله عليه وآله وسلم: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم. وقد جاء فى غير حديث: كان حقا على الله كذا وكذا كقوله: من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوما، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد فشربها - فى الثالثة أو الرابعة - كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال. قيل: وما طينة الخبال ؟ قال: عصارة أهل النار [۲۹۴] . وكل هذا دليل على صحة التوسل بالصالحين أنفسهم، وليس بدعائهم وحسب. بل فى هذا الحديث دلالة واضحة على جواز التوسل بهم بعد موتهم، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: بحق السائلين لفظ عام يستوعب كل السائلين من لدن آدم عليه السلام إلى يوم السائل هذا، بل يستوعب الملائكة ومؤمنى الجن أيضا، ولا يمكن حصره [صفحه ۱۴۲] بالسائلين هذا اليوم أو من الاحياء، إذ لا دليل على هذا يحمله الحديث، ولا مخصص له من خارجه أيضا، وسيأتى الكلام فى هذا فى الفقرة اللاحقة. كما أن فى الحديث شاهد آخر على التوسل بالاعمال الصالحة: بحق ممشاى هذا....

التوسل بالأنبياء والصالحين بعد موتهم

وهذا هو أكثر ما وقع فيه الخلاف، لا سيما من قبل ابن تيمية ومقلديه من سلفية ووهابية، والتحقيق يثبت أنهم ليسوا على شىء فى ما ذهبوا إليه، وليس لهم إلا الرأى الذى لا يشفع له دليل، بل الدليل الذى لا يستطيعون إنكاره قائم على خلاف ما يقولون، وسنرى هنا كيف يجادل ابن تيمية فى أدلة هذا القسم بعد أن يثبت صحة كل واحد منها، دون أن يستند على شىء البتة.. وبعد أن قدمنا الكلام فى دلالة الحديث السابق بحق السائلين عليك على التوسل بالموتى، إذ ليس فى الحديث ولا خارجه ما يفيد حصره بالاحياء، نشرع باختصار كلام ابن تيمية فى هذا الموضوع، والرد عليه، مقدمين فى الرد ما أثبت صحته بنفسه. يقسم ابن تيمية التوسل بالأنبياء والصالحين إلى ثلاث درجات، ويقطع بحرمتها جميعا، وهى: الدرجة الأولى: أن يسأل الميت حاجته، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضى دينه، أو ينتقم له من عدوه، ونحو ذلك، مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. [صفحه ۱۴۳] يقول: وهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل [۲۹۵] . ومعنى هذا أن السائل يسأل الميت، نبيا كان أو من الأولياء الصالحين، حاجته، معتقدا أن هذا المسؤول هو الذى بيده الامر، وهو الذى سيستجيب دعاءه ويعطيه مراده. ومثل هذا الاعتقاد لا ينسب إلى المؤمنين، ولا يراود مؤمنا عاقلا لكن قد يزاوله بعض الجهال من عوام الناس، لسذاجة فيهم، دون معرفة بحقيقة هذا الامر ومآله، والواجب أن يعلم هؤلاء ويرشدوا بالأساليب المناسبة لقدراتهم العقلية ولاستعداداتهم النفسية، دون الوصول بهم إلى التكفير. أما إذا كان يفعله الغلاة، من أى فريق كانوا، فالغلاة قد أخرجهم غلوهم من الايمان قبل أن يخرجهم توسلهم هذا، فأولى أن يستتابوا على اعتقاداتهم الفاسدة أولا، فهى الأصل فى هذا وغيره. الدرجة الثانية: وهى أن لا تطلب منه الفعل، ولا تدعوه.. ولكن تطلب أن يدعو لك، كما تقول للحى: ادع لى، وكما كان الصحابة يطلبون من النبى صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء، فهذا مشروع فى الحى، وأما

الميت من الأنبياء والصالحين فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا. ولا اسئل لنا ربك.. فلم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد فيه حديث. ثم استدل على كلامه بأن المسلمين حين أجدبوا زمن عمر بن الخطاب، [صفحه ۱۴۴] استسقى عمر بالعباس، وقال: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) ولم يجيئوا إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قائلين: يا رسول الله ادع لنا واستسق لنا [۲۹۶] ثم أطال الكلام بما ليس له فى الموضوع صلة، إذ طفق يتكلم طويلا- عن بناء القبور واتخاذها مساجد والتبرك بها [۲۹۷] . والتحقيق يثبت خلاف هذا الرأى ويكشف عن ثغرات هذا الاستدلال.. بدءا: إن الاستدلال باستسقاء عمر بالعباس لا- ينهض دليلا- على الرأى المذكور، لعدة وجوه: الأول: إذا كان هذا يمثل قناعة عمر بالتوسل بالحى، فليس فيه دلالة على حرمة التوسل بالميت. الثانى: إذا كان موقف عمر هذا يدل على عدم صحة التوسل بالميت، فليس فيه دلالة على أن هذه هى قناعة كل الصحابة حتى المشاركين له فى هذا الاستسقاء. فإذا حمل إقرارهم قول عمر على أنه إجماع سكوتى يدل على صحة رأيه، فهو من ناحية: إنما يدل على إقرارهم التوسل بالحى الذى تم بالفعل، ولا يدل على نفى التوسل بالميت.. هذا إذا عد الاجماع السكوتى حجة، والاختلاف فيه كبير جدا.. فقد أنكر الاجماع السكوتى طائفة كبيرة من الفقهاء، فلم يعدوه إجماعا ولا- حجة، وهذا هو مذهب المالكية، وهو قول الشافعى، وداود الظاهرى إمام [صفحه ۱۴۵] الظاهرية، وإليه ذهب الآمدى، والفخر الرازى، والبيضاوى [۲۹۸] . وقد انتقده ابن حزم نقدا لاذعا، فقال: إن القول بمثل هذا الاجماع يعنى إيجاب مخالفة أوامره صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يجمع الناس عليها ! ! وهذا عين الباطل.. بل إذا تنازع الناس رددنا ذلك إلى ما افترض الله تعالى علينا الرد عليه من القرآن والسنة، ولا نراعى ما أجمعوا عليه مع وجود بيان السنة [۲۹۹] . ويجب أن يضاف إلى هذا أن هناك حقيقة واقعة جديرة بالاهتمام والملاحظة فى أحداث كهذه، ألا وهى هيبة السلطان وصعوبة الرد عليه، لا سيما عمر فى زمان حكومته، وأمره هذا أشهر من أن يستدعى سوق الأدلة والبراهين. هذا كله فيما لو دلت الواقعة على تحقق إجماع سكوتى، وغاية ما يدل عليه هذا الاجماع لو كان متحققا فعلا إنما هو الاجماع على جواز التوسل بالحى وبدعائه، وهذا أمر معلوم بغير هذه الواقعة.. ولا تتحمل هذه الواقعة أى دلالة زائدة على هذا، لما سيأتى من عمل بعض الصحابة بعد عمر بالتوسل بالميت. الثالث: إن كلمات عمر فى هذه الواقعة تتجاوز مسألة التوسل بالدعاء إلى التوسل بنفس الشخص وذاته، فهو يقول فى أول كلامه: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا). فهو صريح فى التوسل بالعباس نفسه، وليس بدعائه فقط، كما أراد أصحاب الرأى المتقدم، فالحديث صريح فى أن عمر هو الذى كان يدعو، وليس العباس، ولم يرد فى أى من طرق هذا [صفحه ۱۴۶] الخبر أن عمر قال للعباس (ادع لنا) ! ويزيد فى هذا وضوحا ما ذكره ابن الأثير فى هذه الحادثة بعد ذكرها، إذ قال: فسقاهم الله تعالى به - أى بالعباس - وأخصبت الأرض، فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله، والمكان منه. قال: ولما سقى طفق الناس يتمسحون بالعباس، ويقولون: هنيئا لك ساقى الحرمين [۳۰۰] . إذن هو توسل بالعباس نفسه لقرابته من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وليس توسل بدعائه، هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى فهو عرى عن الدلالة على عدم صحة التوسل بالميت أو بدعائه، وذلك: ۱ - لما تقدم من انحصار دلالته على ما ثبت فى موضوعه. ۲ - لما سنورد بعضه مما ثبت عن الصحابة أنفسهم من التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبدعائه بعد وفاته.. - نبدأ ذلك بالتذكير بما تقدم فى القسم الأول من حديث الإمام على عليه السلام ، ومن حديث عمر بن حرب الهلالى، فى زيارة اثنين من الاعراب بمحضر من كل منهما، وتوسلهما بدعائه صلى الله عليه وآله وسلم. - وشاهد ثالث أقره ابن تيمية نفسه [۳۰۱] ، وأخرجه ابن أبى شيبة وغيره. وفيه: أنه أصاب الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب، فجاء رجل قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، [صفحه ۱۴۷] فقال: يا رسول الله، استسق الله لامتك، فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله فى المنام، فقال: أئت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنهم مسقون، وقل له: عليك الكيس، الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره [۳۰۲] . وهذا وحده - بعد أن أقره ابن تيمية - كاف فى دفع شبهته، وفى رد احتجاجه بتوسل عمر بالعباس على نفى جواز التوسل بدعاء الميت، ثم بالميت نفسه. - وأخرج السبكى من حديث عائشة، أنه أصاب المدينة قحط، فقالت: انظروا قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين

السماء سقف. ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب، وسمن الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى ذلك العام: (عام الفتق) [۳۰۳] . وبهذا، بل ببعضه ثبتت صحة التوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته. الدرجة الثالثة: التوسل بالجاه والحرمة.. قال ابن تيمية: لم يبلغنى عن أحد من العلماء فى ذلك ما أحكيه، إلا ما رأيت فى فتاوى الفقيه أبى محمد بن عبد السلام، فإنه أفتى أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك إلا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، إن صح الحديث فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ! قال: ومعنى الاستفتاء: قد روى النسائى والترمذى وغيرها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: [صفحه ۱۴۸] اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبى الرحمة، يا محمد يا رسول الله، إنى أتوسل بك إلى ربى فى حاجتى ليقضيها لى، اللهم فشفعه فى فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته وبعد مماته. قالوا، والكلام لابن تيمية: وليس فى التوسل دعاء المخلوقين، ولا استغاثة بالمخلوق، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال بجاهه، كما فى سنن ابن ماجة، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر فى دعاء الخارج للصلاة أن يقول: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك... الحديث، ففى هذا الحديث أنه سأل بحق السائلين عليه.. والله تعالى قد جعل على نفسه حقا.. إلى أن قال: وقالت طائفة: ليس فى هذا جواز التوسل به بعد مماته وفى مغيبه، بل إنما فيه التوسل فى حياته بحضوره.. ثم أخذ ينتصر لهذا الرأى الأخير، قائلا: وذلك التوسل به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو لهم، فيدعو لهم، ويدعون معه، ويتوسلون بشفاعته ودعائه، ومثل لذلك بحديث الاعرابى: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله لنا أن يمسكها عنا. قال: فهذا كان توسلهم به فى الاستسقاء ونحوه، ولما مات توسلوا بالعباس رضى الله عنه.. وكذلك معاوية بن أبى سفيان، استسقى بيزيد بن الأسود الجرشى، وقال: اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك إلى الله... ثم ختم بقوله: ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبى والصالح بعد موته ولا فى مغيبه، ولا استحبوا ذلك فى الاستسقاء ولا فى الاستنصار ولا غير ذلك من الأدعية، والدعاء مخ العبادة [۳۰۴] . [صفحه ۱۴۹] والخلط والتمويه والتناقض واضح فى أكثر من موضع من هذا الكلام، نبدأ بالكشف عنه قبل تقديم الأدلة على المطلوب. ۱ - قد خلط بين التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين التوسل بالجاه، فالفرق واضح بين قولك: يا محمد، يا رسول الله إنى أتوجه بك إلى الله وبين أن تقول اللهم بحق السائلين عليك أو اللهم بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم فالأول توجه وتوسل به، والثانى توجه وتوسل بحقه وجاهه ومنزلته، فهذان نوعان من التوسل بالأنبياء والصالحين يدخلان فى هذا القسم، وقد حمل ابن تيمية الأول على الثانى، وهو حمل غير صحيح. ۲ - خلط هنا كما خلط من قبل بين التوجه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين طلب الدعاء منه، والفارق واضح، ولا يخفى أنه صنع هذا تمويها، ليس إلا ولذلك تراه عندما استدل بحديث الاعرابى أتى بفقرة منه وترك قوله الذى قدمناه آنفا: يا رسول الله إنا نستشفع بك على الله هذا القول الذى أقره النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ۳ - ناقض نفسه فى النقل عن العلماء، ثم لجأ إلى تقسيم الدعاء إلى استسقاء وغيره تمويها على الأذهان لا غير، لأنه عاد فجمع كل أصناف الدعاء (ولا استحبوا ذلك فى الاستسقاء ولا فى الاستنصار ولا فى غير ذلك من الأدعية). فقد نقل أولا عن العلماء قولهم بجواز التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته وبعد مماته، ثم عاد يقول: ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبى والصالح بعد موته ! ! ونأتى هنا على ما ينقض دعواه هذه بأدلة أقر هو بصحة بعضها، ولم يذكر البعض الآخر بإثبات أو نفى: [صفحه ۱۵۰] - أثبتنا ونؤكد أن ابن تيمية لم يجد نصا يستفيد منه النهى عن التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، فطفق يحمل بعض النصوص ما لا تحتمل، وسنراه هنا كيف يدير ظهره لنص ثبتت صحته لديه بنحو لا غبار عليه: إنه ينقل بطرق يعرف صحتها عن الصحابى الجليل عثمان بن حنيف أنه يعلم الناس التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عهد عثمان بن عفان، ثم يشفعه بأخبار مماثلة عن السلف.. يقول: روى البيهقى أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته، فلقى الرجل عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة، فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليه بنبينا محمد نبى الرحمة، يا محمد، إنى أتوجه بك إلى ربى ليقضى لى حاجتى ثم أذكر حاجتك، ثم رح حتى أروح معك.. فانطلق

الرجل، فصنع ذلك، ثم أتى بعد عثمان بن عفان، فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة، وقال: انظر ما كانت لك من حاجة، فذكر حاجته، فقضاها له. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان لينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمته فى. فقال عثمان بن حنيف: ما كلمته، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاءه ضرير وشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أو تصبر ثم ذكر الحديث المتقدم. [صفحه ۱۵۱] قال البيهقى - والكلام ما زال لابن تيمية -: ورواه أحمد بن شبيب بن سعيد عن أبيه بطوله، ورواه أيضا هشام الدستوائى، عن أبى جعفر، عن أبى أمامة بن سهل، عن عمه عثمان بن حنيف. ثم ذكر ابن تيمية لهذا الحديث أسانيد كثيرة، وصححها، إلى أن قال : وروى فى ذلك أثر عن بعض السلف، مثل ما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب (مجانى الدعاء) بإسناده: جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد بن أبجر، فجس بطنه فقال: بك داء لا يبرأ. فقال الرجل: ما هو ؟ قال: الدبيلة [۳۰۵] . فتحول الرجل، وقال: الله، الله، الله ربى لا أشرك به شيئا، اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم تسليما، يا محمد، إنى أتوجه بك إلى ربك وربى يرحمنى مما بى. قال: فجس بطنه، فقال: برئت، ما بك علة.. أضاف ابن تيمية قائلا: فهذا الدعاء ونحوه قد روى أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل فى (منسك المروذى) التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الدعاء [۳۰۶] . هكذا يشهد على بطلان رأيه، وبطلان دعواه السابقة فى أنه لم ينقل عن أحد من السلف التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته، هذه الدعوى التى أصر عليها، وصدر بها لكتابه [صفحه ۱۵۲] (التوسل الوسيلة) [۳۰۷] . وبهذا يثبت أنه لم يكن على شىء فى ما ذهب إليه، غير إصرار على رأى باطل تشهد الأدلة الثابتة على بطلانه. والحق أن الذى ثبت عن السلف أكثر من ذلك بكثير، ولم يقتصروا على التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد مماته، بل توسلوا بغيره ممن يرون فيه الصلاح ويعتقدون بأن له عند الله جاها وشفاعة. التوسل بأهل البيت عليهم السلام: على رأس الصالحين والأبرار يأتى الأئمة الأطهار من أهل بيت النبى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين. وفى بعض المأثور عنهم عليهم السلام فى قوله تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة) أن الامام منهم عليهم السلام هو الوسيلة [۳۰۸] . وهو إشارة واضحة إلى كونهم من أكبر مصاديق الوسيلة التى يتقرب بها إلى الله تعالى، من خلال مودتهم وموالاتهم اللازمتين لصحة الاعتقاد. وفى الدعاء المأثور فى التوسل بهم عليهم السلام، وهو المعروف بدعاء التوسل، نقرأ: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يا أبا القاسم يا رسول الله يا إمام الرحمة، يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدى حاجاتنا، يا وجيها عند الله إشفع لنا [صفحه ۱۵۳] عند الله.. يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين يا على بن أبى طالب، يا حجة الله على خلقه يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله وقدمناك بين يدى حاجاتنا، يا وجيها عند الله، إشفع لنا عند الله.. يا فاطمة الزهراء، يا بنت محمد، يا قرة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنا، إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدى حاجاتنا، يا وجيهة عند الله، إشفعى لنا عند الله [۳۰۹] ، ويمضى مع سائر أئمة أهل البيت عليه السلام بالعبارات نفسها. ونختتم هذا القسم من الكتاب بذكر شواهد مما ثبت عن علماء السلف فى هذا، بعد التذكير بما سبق ذكره من كلام مالك للمنصور وحثه على التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم واستقبال قبره فى الدعاء.. - الشافعى: أيام كان ببغداد، قال: إنى لأتبرك بأبى حنيفة، وأجئ قبره كل يوم، فإذ عرضت لى حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد أن تقضى [۳۱۰] . وقال ابن حجر: كان الشافعى - أيام كان ببغداد - يجىء إلى ضريح أبى حنيفة يزوره فيسلم عليه، ثم يتوسل إلى الله تعالى به فى قضاء حاجته. ولما بلغ الشافعى أن أهل المغرب يتوسلون بما لك لم ينكر عليهم [۳۱۱] . - أحمد بن حنبل: ثبت أن أحمد توسل بالشافعى حتى تعجب ابنه عبد الله، فقال له أبوه: إن الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن [۳۱۲] . [صفحه ۱۵۴] - أبو على الخلال: شيخ الحنابلة فى وقته، يقول: ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به، إلا سهل الله تعالى لى ما أحب [۳۱۳] . - إبراهيم الحربى: قال فى قبر معروف الكرخى: قبر معروف الترياق المجرب، أى فى قضاء الحوائج [۳۱۴] . وقال ابن خلكان: وأهل بغداد يستسقون بقبره، ويقولون: قبر معروف ترياق مجرب [۳۱۵] . ومثل ذلك نقله الشعرانى فى (الطبقات الكبرى) [۳۱۶] . - أبو

الفرج ابن الجوزی: نقل ابن الجوزی أخبارا کثیرة جدا فی زیارة قبر أحمد والتبرک والتوسل به، منها: عن عبد الله بن موسی، قال: خرجت أنا وأبی فی لیلة مظلمة نزور أحمد، فاشتدت الظلمة، فقال أبی: یا بنی، تعال حتی نتوسل إلی الله تعالی بهذا العبد الصالح حتی یضیء لنا الطریق، فإنی منذ ثلاثین سنة ما توسلت به إلا قضیت حاجتی، فدعا أبی وأمنت علی دعائه، فأضاءت السماء کأنها لیلة مقمرة حتی وصلنا إلیه [۳۱۷] . وهکذا یثبت أن التوسل بأقسامه المذکورة کلها عمل صحیح، ورد بعضه فی القرآن الکریم، وبعضه فی الحدیث الشریف، علمه النبی صلی الله علیه وآله وسلم بعض أصحابه، [صفحه ۱۵۵] وعمل به أصحابه من بعده، وعمل به التابعون ومن بعدهم، إلی یومنا هذا.. کما یثبت أن ما أثیر حول التوسل من شبهات هی شبهات داحضة لم یتمسک أصحابها بدلیل، غیر المخالفة والعناد، والدلیل قائم بضد ما یقولون.. وأن ما یصاحب عمل بعض عوام الناس من أخطاء صغیرة أو کبیرة، ینبغی تصحیحها، وإرشادهم إلی الصحیح الثابت فی التوسل، وأن هذا لا یصح ذریعة لتحریم سنة صحیحة ثابتة. والحمد لله أولا وآخرا. وهو المقصود والمعبود وحده، ولا مقصود ولا معبود سواه.

پاورقی

[۱] مفردات القرآن / الراغب (زور)، لسان العرب / ابن منظور (زور).

[۲] سورة الکهف: ۱۸ / ۲۱.

[۳] انظر: مجمع البیان / الطبرسی ۵: ۷۱۰، التفسیر الکبیر / الرازی ۱۱: ۱۰۶، فتح القدیر / الشوکانی ۳: ۲۷۷، المیزان / الطباطبائی ۱۳: ۲۶۷.

[۴] الدر المنثور، وعنه المیزان ۱۳: ۲۸۶ فی روایة قال عنها: والروایة مشهورة أوردها المفسرون فی تفاسیرهم وتلقوها بالقبول.

[۵] سورة التوبة: ۹ / ۸۴.

[۶] أنوار التنزیل / البیضاوی ۱: ۴۱۶، وروح المعانی / الآلوسی ۱۰: ۱۵۵، روح البیان /البروسوی ۳: ۳۷۸.

[۷] سورة النساء: ۴ / ۶۴.

[۸] مجمع البیان ۳: ۱۰۵، تفسیر الرازی ۵: ۱۶۷ – ۱۶۸.

[۹] سورة الحجرات: ۴۹ / ۲.]

[۱۰] شفاء السقام / السبکی: ۶۹ – ۷۰.

[۱۱] شفاء السقام: ۸۱ – ۸۲.

[۱۲] علی أساس ما ورد فی کتب الجمهور.

[۱۳] صحیح مسلم – کتاب الجنائز – ۲: ۳۶۶ / ۱۰۷، سنن الترمذی ۳: ۳۷۰ / ۱۵۰۴، السنن الکبری للنسائی ۱: ۶۵۳ / ۲۱۵۹، المستدرک ۱: ۵۳۰ / ۱۳۸۵، مصابیح السنة ۱: ۵۶۸ / ۱۲۳۹.

[۱۴] المعجم الکبیر / الطبرانی ۱۱: ۲۰۲ / ۱۱۶۵۳، والمعجم الأوسط ۳: ۳۴۳ / ۲۷۳۰، مجمع الزوائد / الهیثمی ۳: ۵۸.

[۱۵] معجم مفردات ألفاظ القرآن (هجر).

[۱۶] لسان العرب (هجر).

[۱۷] مجمع الزوائد ۳: ۵۸، رجاله رجال الصحیح.

[۱۸] الروض الفائق فی المواعظ والرقائق: ۲۲، وعنه: الغدیر ۵: ۲۴۵.

[۱۹] سنن ابن ماجة ۱: ۴۸۵ / ۱۵۴۷.

[۲۰] صحیح مسلم ۲: ۳۶۶ / ۱۰۷ – کتاب الجنائز –، سنن الترمذی ۳: ۳۷۰ / ۱۰۵۴، السنن الکبری / النسائی ۱: ۶۵۳ / ۲۱۵۹،

المستدرک علی الصحیحین ۱: ۵۳۰ / ۱۳۸۵، مصابیح السنة / البغوی ۱: ۵۶۸ / ۱۲۳۹. ولا یخفی أن الغرض من ذکر مثل هذا الحدیث هو الاستدلال علی مشروعیة زیارة القبور بفعل النبی صلی الله علیه وآله وسلم وقوله، وقد ذهب أصحابنا وجمع من علماء الجمهور إلی أن والدیه صلی الله علیه وآله وسلم کانا مؤمنین وهما من أهل الجنة.

[۲۱] سنن الترمذی ۳: ۳۷۰ / ۱۰۵۴.

[۲۲] المستدرک ۱: ۵۳۱ / ۱۳۸۹.

[۲۳] المستدرک ۱: ۵۳۱ / ۱۳۹۰.

[۲۴] سنن أبی داود ۲: ۲۱۸ / ۳۵۷ – کتاب المناسک – باب زیارة القبور.

[۲۵] صحیح مسلم ۲: ۳۶۳ / ۱۰۲ – کتاب الجنائز –، وسنن ابن ماجة ۱: ۴۸۵ / ۱۵۴۶.

[۲۶] أخرجه الأمینی فی الغدیر ۵: ۲۵۸ عن ابن عابدین فی رد المختار علی الدر المختار ۱: ۶۰۴ – ۶۰۵.

[۲۷] السنن الکبری للبیهقی ۴: ۷۸، المستدرک علی الصحیحین ۱: ۵۳۳ / ۱۳۹۶.

[۲۸] المستدرک علی الصحیحین ۱: ۵۳۳ / ۱۳۹۶.

[۲۹] مسند أحمد ۴: ۱۱۹ / ۱۳۰۷۵، ۱۴۰ / ۱۳۲۰۳، السنن الکبری ۴: ۷۷، المستدرک ۱: ۵۳۲ / ۱۳۹۳.

[۳۰] صحیح مسلم ۲: ۳۶۵ / ۱۰۶ – کتاب الجنائز –، مسند أحمد ۳: ۱۸۶ / ۹۳۹۵، سنن ابن ماجة ۱: ۵۰۱ / ۱۵۷۲، سنن أبی داود ۳: ۲۱۸ / ۳۲۳۴، سنن النسائی ۱: ۶۵۴ / ۲۱۶۱، المستدرک ۱: ۵۳۱ / ۱۳۸۸.

[۳۱] المستدرک ۱: ۵۳۳ / ۱۳۹۵.

[۳۲] مسند أحمد ۳: ۴۲۷ / ۱۰۹۳۶، السنن الکبری ۴: ۷۷، المستدرک ۱: ۵۳۰ / ۱۳۶۸.

[۳۳] سنن ابن ماجة ۱: ۴۹۲ / ۱۵۷۱.

[۳۴] انظر: صحیح مسلم / ۱۰۲ و ۱۰۳ – کتاب الجنائز –، مسند أحمد / ۸۶۶۱، سنن الترمذی ۳ : ۳۷۰ / ۱۰۵۳، سنن البیهقی ۴: ۷۹.

[۳۵] المعجم الکبیر / الطبرانی ۲: ۹۴ / ۱۴۱۹، مجمع الزوائد ۳: ۵۸.

[۳۶] مجمع الزوائد ۳: ۵۸.

[۳۷] العقد الفرید ۳: ۱۱، الغدیر ۵: ۲۴۹.

[۳۸] تهذیب الأحکام ۶: ۷۸ – ۷۹ / ۳.

[۳۹] شفاء السقام ۸۶ – ۸۷.

[۴۰] المستدرک علی الصحیحین ۱: ۵۲۶ / ۱۳۷۳.

[۴۱] کنز العمال / ۴۲۵۹۶ رواه الدارقطنی، إتحاف السادة المتقین ۱۰: ۳۷۱.

[۴۲] مجمع الزوائد ۳: ۵۹، کنز العمال / ۴۵۴۸۶، ۴۵۴۸۷.

[۴۳] الغدیر ۵: ۲۵۷.

[۴۴] أخرجها الأمینی فی الغدیر ۵: ۲۵۷ عن مراقی الفلاح: ۱۲۱.

[۴۵] المستدرک علی الصحیحین ۱: ۵۲۶ / ۱۳۷۲.

[۴۶] سورة آل عمران: ۳ / ۱۶۹ – ۱۷۰.

[۴۷] سورة البقرة: ۲ / ۱۵۴.

[۴۸] مسند أحمد ۲: ۵۲۷، السنن الکبری للبیهقی ۵: ۲۴۵.

[۴۹] إتحاف السادة المتقین ۱۰: ۳۶۵، کنز العمال / ۴۲۶۰۱.

[۵۰] إتحاف السادة المتقين ۱۰: ۳۶۵، الحاوى للفتاوى / السيوطى ۲: ۳۰۲.

[۵۱] سنن الدارقطنى ۲: ۲۶۰، السنن الكبرى / البيهقى ۴: ۲۵۶.

[۵۲] سنن الدارقطنى ۲: ۲۷۸ / ۱۹۴، السنن الكبرى / البيهقى ۵: ۲۴۵، شعب الايمان / البيهقى ۳: ۴۹، الأحكام السلطانية / الماوردى: ۱۰۹، نيل الأوطار / الشوكانى ۵: ۱۰۸.

[۵۳] هو عبد الله بن عمر بن حفص، بن عاصم بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العمرى، خرج مع محمد ذى النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن المثنى فى ثورته على المنصور، فحبسه المنصور أخرجه عنه، توفى سنة ۱۷۱ وقبل ۱۷۳ ه. ويأتى الكلام فى أقوال أهل الجرح والتعديل فيه لاحقا.. تهذيب التهذيب ۵: ۲۸۵ – ۲۸۶.

[۵۴] انظر: شفاء السقام / السبكى: ۲ – الطبعة الثانية / حيدر آباد الدكن – ۱۴۰۲ / ۱۹۸۲.

[۵۵] شعب الايمان / البيهقى ۳: ۴۹۰.

[۵۶] سير أعلام النبلاء ۶: ۳۰۴ – ۳۰۵.

[۵۷] مجمع الزوائد ۴: ۲.

[۵۸] انظر: جامع المسانيد والسنن ۲۸: ۱۳۰ / ۲۴۴.

[۵۹] جامع المسانيد والسنن ۲۸: ۱۳۰.

[۶۰] موسوعة أطراف الحديث ۸: ۲۸۶.

[۶۱] انظر: المصدر نفسه ۱: ۲۱ رقم ۱۴۵ و ۱۴۶.

[۶۲] شفاء السقام: ۶.

[۶۳] الضعفاء الكبير ۴: ۱۷۰ ترجمة موسى بن هلال، وشفاء السقام – الطبعة الرابعة (محققة): ۷۰.

[۶۴] شفاء السقام: ۸.

[۶۵] المعجم الكبير / الطبرانى ۱۲: ۲۵۵ / ۱۳۱۴۹.

[۶۶] انظر: شفاء السقام: ۱۶ – ۲۰ الحديث الثالث.

[۶۷] جامع المسانيد والسنن ۲۸: ۲۵۹ / ۵۱۳.

[۶۸] تهذيب التهذيب، ۵: ۲۸۵ / ۵۶۴.

[۶۹] شفاء السقام: ۹.

[۷۰] تهذيب التهذيب ۵: ۲۸۵ / ۵۶۴.

[۷۱] وهو عبد الحق بن عبد الرحمن الأندلسى الإشبيلى، ابن الخراط. وصفه الذهبى بالامام الحافظ البارع المجود العلامة، كان فقيها حافظا، عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال. له مصنفات متقنة فى الاحكام والحديث وغيرها. توفى سنة ۵۸۰ ه (سير أعلام النبلاء ۲۱: ۱۸۹ – ۱۹۹).

[۷۲] شفاء السقام: ۱۰ – ۱۱.

[۷۳] مسند أحمد ۲: ۷۴، سنن الدارقطنى ۳: ۲۸۷ / ۱۹۴، وشفاء السقام: ۲۹ عن العلل للدارقطنى.

[۷۴] شفاء السقام: ۲۹.

[۷۵] شيخ القميين فى وقته، ولم ير أحد أحفظ ولا أفقه ولا أعرف بالحديث منه. رجال النجاشى: ۳۸۴ رقم ۱۰۴۵.

[۷۶] لم يذكر بتضعيف ولا توثيق. معجم رجال الحديث ۳: ۱۶۴.

[۷۷] لم يذكر بتضعيف ولا توثيق. معجم رجال الحديث ۱: ۲۸۵ رقم ۲۶۹.

[۷۸] ثقة سكن مصر. رجال النجاشي: ۳۷۹ رقم ۱۰۱۳.

[۷۹] من أصحاب التصانيف، له كتاب (جامع التفاسير) وكتاب (الوضوء). رجال النجاشي ۴۱۰ / ۱۰۱۹.

[۸۰] تهذيب الأحكام / الشيخ الطوسي ۶: ۳ / ۱.

[۸۱] سنن الدارقطني ۲: ۲۸۷ / ۱۹۳.

[۸۲] السنن الكبرى ۵: ۲۴۵، شعب الايمان ۳: ۴۸۸، نيل الأوطار ۵: ۱۰۸.

[۸۳] مختصر تاريخ دمشق / ابن منظور ۲: ۴۰۶.

[۸۴] المقاصد الحسنة: ۴۱۳، الدرر المنتثرة: ۱۷۳، شفاء السقام الطبعة الرابعة المحققة: ۱۰۳ هامش ۳.

[۸۵] عن شفاء السقام: ۳۹ الحديث الرابع عشر، وأخرجه عبد الملك النيسابوري الخركوشي في شرف المصطفى: ۴۲۱ و ۴۶۶.

[۸۶] شفاء السقام: ۳۵ – ۳۶ الحديث العاشر.

[۸۷] سنن أبي داود ۱: ۱۲.

[۸۸] سنن الدارقطني ۲: ۲۷۸ / ۱۹۳، السنن الكبرى / البيهقي ۵: ۲۴۵.

[۸۹] شفاء السقام: ۳۰.

[۹۰] الثقات / ابن حبان ۷: ۵۸۰.

[۹۱] الضعفاء الكبير ۴: ۳۶۱ رقم ۱۹۷۳.

[۹۲] انظر: شفاء السقام: ۳۲.

[۹۳] شفاء السقام: ۳۶ – ۳۷ – الحديث الحادي عشر.

[۹۴] شعب الايمان ۳: ۴۹۰ / ۴۱۵۸. ونيل الأوطار / الشوكاني ۵: ۱۰۹، والتاج الجامع للأصول ۲: ۱۹۰.

[۹۵] الثقات / ابن حبان ۶ / ۳۹۵.

[۹۶] روى عنه الشافعي وأحمد والحميدي وغيرهم من هذه الطبقة، وأخرج حديثه الستة. (تهذيب التهذيب ۹: ۵۲ / ۶۲).

[۹۷] الكافي / الكليني ۴: ۵۴۸ / ۳ كتاب الحج، أبواب الزيارات، باب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[۹۸] الضعفاء الكبير / العقيلي ۳: ۴۵۷.

[۹۹] سنن الدارقطني ۲: ۲۷۸ / ۱۹۴.

[۱۰۰] سنن الدارقطني ۲: ۲۷۸ / ۱۹۲.

[۱۰۱] السنن الكبرى / البيهقي ۵: ۲۴۶، المعجم الكبير ۱۲: ۳۱۰ / ۱۳۴۹۷، مختصر تاريخ دمشق ۲: ۴۰۶، نيل الأوطار ۵: ۱۰۸.

[۱۰۲] الكامل في الضعفاء ۳: ۷۸۹ – ۷۹۰، السنن الكبرى ۵: ۲۴۶، المجروحين / ابن حبان ۲: ۲۵۰.

[۱۰۳] شفاء السقام: ۲۴ – ۲۵.

[۱۰۴] شفاء السقام: ۲۵.

[۱۰۵] أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير ۱۲: ۴۰۶ / ۱۳۴۹۶، وفي حاشية أخرجه المحقق عن المعجم الأوسط أيضا: ۱: ۲۰۱ / ۱۵۷.

[۱۰۶] الكامل لابن عدي: ۷ رقم ۲۴۸۰ ترجمة النعمان بن شبل.

[۱۰۷] شفاء السقام: ۲۷ – ۲۸ الحديث الخامس.

[۱۰۸] أي وهو يؤدي مناسك الحج قربة إلى الله تعالى.

[۱۰۹] الكافي / الكليني ۴: ۳۴۸ / ۵.

[۱۱۰] تهذيب الأحكام ۶: ۴ / ۵.

[۱۱۱] تهذیب الأحکام ۶: ۴ / ۴.

[۱۱۲] نیل الأوطار / الشوکانی ۵: ۱۰۹، مختصر تاریخ دمشق / ابن منظور ۲: ۴۰۶.

[۱۱۳] تهذیب الأحکام ۶: ۳ / ۲.

[۱۱۴] تهذیب الأحکام ۶: ۱۷ – ۱۸ / ۱۹.

[۱۱۵] الکافی ۴: ۵۵۳ / ۷، تهذیب الأحکام ۶: ۷ / ۴.

[۱۱۶] الکافی ۴: ۵۵۲ / ۵.

[۱۱۷] تهذیب الأحکام ۶: ۶ / ۳، تاریخ بغداد ۱۳: ۳۱، وفیات الأعیان ۵: ۳۰۹، سیر أعلام النبلاء ۶: ۲۷۳.

[۱۱۸] تهذیب الأحکام ۶: ۱۴ / ۹.

[۱۱۹] تهذیب الأحکام ۶: ۲۲ / ۷.

[۱۲۰] تهذیب الأحکام ۶: ۲۰ / ۱، و ۴۰ / ۱.

[۱۲۱] انظر: رجال النجاشی: ۳۳۵ / رقم ۸۹۸.

[۱۲۲] انظر: رجال النجاشی: ۸۱ – ۸۲ رقم ۱۹۸.

[۱۲۳] رجال النجاشی: ۳۸ رقم ۷۶.

[۱۲۴] تهذیب الأحکام ۶: ۲۱ / ۵، و ۴۰ / ۲.

[۱۲۵] تهذیب الأحکام ۶: ۴۲ / ۱.

[۱۲۶] تهذیب الأحکام ۶: ۴۲ / ۲.

[۱۲۷] انظر: تهذیب الأحکام ۶: ۴۲ – ۵۲ باب ۱۶.

[۱۲۸] تهذیب الأحکام ۶: ۷۸ – ۷۹.

[۱۲۹] الغدیر / الأمینی ۵: ۲۳۳ – ۲۳۴ – تحقیق مرکز الغدیر – عن (وفاء الوفاء) للسمهودی ۴: ۱۴۱۰.

[۱۳۰] السیرة النبویة / ابن سید الناس ۲: ۴۳۲، السیرة النبویة / زینی دحلان ۲: ۳۱۰، إرشاد الساری / القسطلانی ۳: ۳۵۲، أعلام النساء / عمر رضا کحالة ۴: ۱۱۳.

[۱۳۱] وفاء الوفا / السمهودی ۴: ۱۳۹۹، المواهب اللدنیة / القسطلانی ۴: ۵۸۳.

[۱۳۲] الریاض النضرة ۲: ۳۳۰.

[۱۳۳] أسد الغابة ۱: ۳۰۷ – ۳۰۸، ترجمة بلال بن رباح، وأخرجه ابن عساکر فی ترجمة بلال أیضا، وفی ترجمة إبراهیم بن محمد الأنصاری، انظر: مختصر تاریخ دمشق ۴: ۱۱۸ و ۵: ۲۶۵، وتهذیب الکمال ۴: ۲۸۹ / ۷۸۲.

[۱۳۴] شفاء السقام: ۵۴ (الباب الثالث).

[۱۳۵] أی متقدم.

[۱۳۶] أسد الغابة (ترجمة خباب) ۲: ۱۴۳، العقد الفرید ۳: ۱۲.

[۱۳۷] المستدرک ۱: ۵۳۲ / ۱۳۹۲.

[۱۳۸] العقد الفرید ۳: ۱۳، الغدیر ۵: ۲۵ / ۹.

[۱۳۹] المستدرک علی الصحیحین ۴: ۵۶۰ / ۸۵۷۱، وتلخیص الذهبی فی ذیل الصفحة.

[۱۴۰] شفاء السقام: ۵۵.

[۱۴۱] تهذیب الأحکام ۶: ۲۲ / ۷.

[۱۴۲] تاریخ بغداد ۱: ۱۲۳، مناقب أبی حنیفة / الخوارزمی ۲: ۱۹۹.

[۱۴۳] تاریخ بغداد / الخطیب البغدادی ۱: ۱۲۰.

[۱۴۴] تهذیب التهذیب / ابن حجر العسقلانی ۷: ۳۳۹.

[۱۴۵] سنن الترمذی ۳: ۳۷۰ / ۱۰۵۴ (کتاب الجنائز - باب ما جاء فی الرخصة فی زیارة القبور).

[۱۴۶] سیر أعلام النبلاء ۸: ۳۷۸ - ۴۲۱.

[۱۴۷] سیر أعلام النبلاء ۱۱: ۳۵۸ - ۳۸۳.

[۱۴۸] شفاء السقام: ۷۰ - ۷۱.

[۱۴۹] شفاء السقام: ۷۱.

[۱۵۰] رأس الحسین / ابن تیمیة: ۲۰۹ مطبوع مع استشهاد الحسین للطبری.

[۱۵۱] شفاء السقام: ۶۲ - ۶۳، مختصر تاریخ دمشق ۲: ۴۰۸، القسطلانی و المواهب اللدنیة ۴: ۵۸۳.

[۱۵۲] مناقب أحمد: ۴۰۰، ۵۶۳، ۶۳۹، ۶۴۲، ۶۴۳، ۶۷۷ وغیرها.

[۱۵۳] المنتظم فی أخبار الملوک والأمم ۱۸: ۲۴۸.

[۱۵۴] مناقب أحمد: ۶۳۹۰، وأخرجه الخطیب البغدادی / تاریخ بغداد ۴: ۴۲۳.

[۱۵۵] مناقب أحمد: ۶۳۹.

[۱۵۶] المنتظم ۱۸: ۵۵.

[۱۵۷] مناقب أحمد: ۶۰۷.

[۱۵۸] المنتظم، والبدایة والنهایة: أحداث سنة ۴۷۰ ه.

[۱۵۹] المغنی / ابن قدامة ۳: ۷۸۸.

[۱۶۰] نقله السبکی فی شفاء السقام: ۶۷ عن (الرعایة الکبری فی الفروع الحنبلیة).

[۱۶۱] ذکره ابن عبد الهادی فی الصارم المنکی فی الرد علی السبکی: ۷ المطبعة الخیریة، القاهرة. ط ۱، بواسطة الزیارة فی الکتاب والسنة / جعفر سبحانی: ۲۸ - ۲۹.

[۱۶۲] أخرجه العز بن جماعة، کما فی / وفاء الوفا ۲: ۴۲۴.

[۱۶۳] مناقب أحمد / ابن الجوزی: ۶۰۹، البدایة والنهایة / ابن کثیر: ۱۰: ۳۶۵ حوادث سنة ۲۴۱ ه.

[۱۶۴] فتح الباری بشرح صحیح البخاری ۳: ۴۷۵ / ۱۶۰۹.

[۱۶۵] أبو الفضل، محمد بن ناصر السلامی البغدادی، من أئمة الحنابلة فی القرن السادس، وعنه أخذ أبو الفرج ابن الجوزی علم الحدیث وعلیه قرأ المسانید، وکان مقدم أصحاب الحدیث فی وقته ببغداد. ولد سنة ۴۶۷ وتوفی سنة ۵۵۰ ه. سیر أعلام النبلاء: ۲۰: ۲۶۵ - ۲۷۰.

[۱۶۶] سیر أعلام النبلاء / الذهبی ۵: ۳۵۸ - ۳۵۹.

[۱۶۷] انظر ترجمته فی سیر أعلام النبلاء ۵: ۳۵۳ - ۳۶۱.

[۱۶۸] انظر ترجمته فی سیر أعلام النبلاء ۴: ۴۰ - ۴۴.

[۱۶۹] سیر أعلام النبلاء ۴: ۴۲.

[۱۷۰] أخرجه السبکی عن القاضی إسماعیل فی کتاب (فضل الصلاة علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم)، شفاء السقام: ۷۹.

[۱۷۱] الکافی ۴: ۵۵۱ / ۲.

[۱۷۲] الکافی ۴: ۵۵۲ / ۵ – کتاب الحج – باب دخول المدینة وزیارة النبی صلی الله علیه وآله وسلم.

[۱۷۳] الکافیة ۴: ۵۵۳ / ۷ تهذیب الأحکام ۶: ۷ / ۴.

[۱۷۴] الکافی ۴: ۵۵۰ – ۵۵۱ / ۱ – کتاب الحج – باب دخول المدینة وزیارة النبی صلی الله علیه وآله وسلم، تهذیب الأحکام ۶: ۵ / ۱ باب ۳.

[۱۷۵] المروة: الحجر البراق.

[۱۷۶] الکافی ۴: ۵۵۱ / ۲.

[۱۷۷] الکافی ۴: ۵۵۲ / ۴.

[۱۷۸] الترعة: الباب الصغیر.

[۱۷۹] الکافی ۴: ۵۵۳ / ۱، باب المنبر والروضة، تهذیب الأحکام ۶: ۷ / ۵.

[۱۸۰] الفقه علی المذاهب الأربعة ۱: ۷۱۳.

[۱۸۱] شفاء السقام: ۷۴، عن مسند أبی حنیفة، لأبی القاسم طلحة بن محمد بن جعفر.

[۱۸۲] شفاء السقام: ۶۹، ویأتی بتمامه فی (التوسل).

[۱۸۳] نسیم الریاض فی شرح الشفا ۳: ۵۱۷، الغدیر ۵: ۱۹۹.

[۱۸۴] من کبار الحفاظ وأهل الفقه والزهد، سمع من أحمد بن حنبل وطبقته، وکان جلساؤه یفضلونه علی أحمد بن حنبل، مولده سنة ۱۹۸، ووفاته سنة ۲۸۵ ه، سیر أعلام النبلاء: ۳ : ۳۵۶ – ۳۷۲.

[۱۸۵] شفاء السقام: ۷۰.

[۱۸۶] تهذیب الأحکام ۶: ۲۵.

[۱۸۷] تهذیب الأحکام ۶: ۲۸.

[۱۸۸] تهذیب الأحکام ۶: ۳۰.

[۱۸۹] تهذیب الأحکام ۶: ۴۱.

[۱۹۰] انظر: الکافی ۴: ۵۷۲ – ۵۷۵، من حدیث الإمام الصادق علیه السلام.

[۱۹۱] راجع: شرح القواعد الفقهیة / أحمد الزرقا: ۴۸۶، والقواعد الفقهیة / علی أحمد الندوی: ۳۴۵.

[۱۹۲] الأصول العامة للفقه المقارن / محمد تقی الحکیم: ۶۷.

[۱۹۳] انظر: کتاب الزیارة / ابن تیمیة: ۱۸ – ۲۱، المسألة الثانیة.

[۱۹۴] صحیح مسلم – کتاب الحج – باب لا تشد الرحال إلا إلی ثلاثة مساجد.

[۱۹۵] ای قصر الصلاة، إذ لا یجوز القصر فی الاسفار المحرمة.

[۱۹۶] المغنی / ابن قدامة ۲: ۱۰۳.

[۱۹۷] إحیاء علوم الدین ۲: ۳۹۸ – کتاب آداب السفر – ط دار الوعی بحلب.

[۱۹۸] راجع شفاء السقام: ۱۲۶ – ۱۲۷.

[۱۹۹] کتاب الزیارة: ۱۲ – ۱۳ – المسألة الأولی.

[۲۰۰] کتاب الزیارة: ۳۸ – المسألة الرابعة.

[۲۰۱] کتاب الزیارة: ۱۹ – المسألة الثانیة.

[۲۰۲] یعنی مسائل أحمد بن حنبل.

[۲۰۳] رأس الحسين / ابن تيمية: ۲۰۶ مطبوع مع استشهاد الحسين للطبرى.

[۲۰۴] شفاء السقام: ۱۴۶.

[۲۰۵] سير أعلام النبلاء ۱۶: ۵۲۹ – ۵۳۳، تاريخ بغداد ۱۰: ۳۷۱ – ۳۷۵.

[۲۰۶] سير أعلام النبلاء ۴: ۴۸۴ ترجمة الحسن بن الحسن السبط عليه السلام.

[۲۰۷] سنن أبى داود ۱: ۴۵۳ / ۲۰۴۲.

[۲۰۸] تهذيب التهذيب ۶: ۴۶ – ۴۸ / ۹۹.

[۲۰۹] راجع شفاء السقام: ۸۰.

[۲۱۰] هامش المحقق فى / شفاء السقام: ۱۸۷ – الطبعة المحققة.

[۲۱۱] سير أعلام النبلاء ۴: ۴۸۴ – ۴۸۵ ترجمة الحسن المثنى.

[۲۱۲] مجموع فتاوى ابن تيمية ۲۷: ۱۸۴ – ۱۹۲، ونحوه فى / زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: ۲۹ – ۳۰.

[۲۱۳] مسند أحمد ۵: ۴۲۳، والمستدرك ۴: ۵۶۰ / ۸۵۷۱.

[۲۱۴] انظر: السيرة النبوية / ابن هشام ۴: ۲۵۶، السيرة النبوية / الذهبى ۲: ۴۸۱، والنص منه.

[۲۱۵] إعلام الورى / الطبرسى ۱: ۲۷.

[۲۱۶] لسان العرب (وسل).

[۲۱۷] معجم مفردات ألفاظ القرآن (وسل): ۵۶۰ – ۵۶۱.

[۲۱۸] سورة المائدة: ۵ / ۳۵.

[۲۱۹] مجمع البيان ۳: ۲۹۳.

[۲۲۰] تفسير الرازى ۶: ۲۲۵ – ۲۲۶.

[۲۲۱] الميزان ۵: ۳۲۸.

[۲۲۲] سورة الإسراء: ۱۷ / ۵۷.

[۲۲۳] انظر تفسير الرازى ۱۰: ۲۳۳ – ۲۳۴، والميزان ۱۳: ۱۲۸.

[۲۲۴] الميزان ۱۳: ۱۳۰.

[۲۲۵] انظر: التوسل / جعفر السبحانى: ۱۸، معاونية التعليم والبحوث الاسلامية، بدون تاريخ ورقم طبعة.

[۲۲۶] خرجه الحافظ العراقى فى ذيل (إحياء علوم الدين) عن النسائى فى اليوم والليلة / ۱۴۴۴ من حديث على (ع) – الغزالى / إحياء علوم الدين ۱: ۵۵۴.

[۲۲۷] سورة غافر: ۴۰ / ۶۰.

[۲۲۸] سورة البقرة: ۲ / ۱۸۶.

[۲۲۹] صحيح مسلم / ۲۷۳۹ من حديث ابن عمر. كذا خرجه العراقى فى ذيل (إحياء علوم الدين) ۱: ۵۴۶.

[۲۳۰] الصحيفة السجادية / الدعاء ۳۲.

[۲۳۱] الصحيفة السجادية / الدعاء ۱۰.

[۲۳۲] الصحيفة السجادية / الدعاء ۱۶.

[۲۳۳] الصحيفة السجادية / الدعاء ۲۰.

[۲۳۴] الصحيفة السجادية / الدعاء ۴۸.

[۲۳۵] الصحيفة السجادية / الدعاء ۴۹.

[۲۳۶] سورة الأعراف: ۷ / ۱۸۰.

[۲۳۷] الشيخ الصدوق / التوحيد: ۱۹۵ / ۹.

[۲۳۸] أخرجهما ابن تيمية فى كتابه زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: ۴۷ – ۴۸.

[۲۳۹] مسند أحمد ۱ / ۳۹۱، وابن تيمية / المصدر السابق: ۴۸ – ۴۹.

[۲۴۰] الجامع الصحيح للترمذى ۵: ۵۱۵ / ۳۴۷۵.

[۲۴۱] المصدر السابق / ۳۵۴۴.

[۲۴۲] المستدرک ۱: ۴۰۰ / ۹۸۵.

[۲۴۳] كنز العمال / ۳۲۱۷ و ۳۸۷۷.

[۲۴۴] الدر المنثور ۴: ۹.

[۲۴۵] كنز العمال / ۳۷۸۲.

[۲۴۶] الصحيفة السجادية / الدعاء ۵۰.

[۲۴۷] مصباح المتهجد / للشيخ الطوسى: ۳۷۴.

[۲۴۸] الصحيفة السجادية / الدعاء ۱۶.

[۲۴۹] الصحيفة السجادية / الدعاء ۳۱.

[۲۵۰] مسند أحمد ۱: ۹۶، ۶: ۲۰۱.

[۲۵۱] سنن أبى داود / ۵۰۵۲.

[۲۵۲] الكافى ۲: ۳۵۱ / ۱.

[۲۵۳] بحار الأنوار ۹۳: ۳۱۲.

[۲۵۴] كفاية الأثر: ۲۹.

[۲۵۵] مجمع الزوائد ۱۰: ۱۶۰ وقال: رواه الطبرانى فى (الأوسط) ورجاله ثقات.

[۲۵۶] الصحيفة السجادية / الدعاء ۱۳.

[۲۵۷] مسند أحمد ۴: ۴۴۵.

[۲۵۸] نهج البلاغة، الخطبة ۱۷۶، ص ۲۶۰ – تحقيق صبحى الصالح.

[۲۵۹] الصحيفة السجادية / الدعاء ۴۲.

[۲۶۰] الاقبال / لابن طاووس: ۴۱.

[۲۶۱] مسند أحمد / ۲۲۲۱۹.

[۲۶۲] مسند أحمد / ۶۶۳۷.

[۲۶۳] نهج البلاغة / الخطبة ۱۷۶.

[۲۶۴] الصحيفة السجادية / الدعاء ۴۴، وله تتمة تأتى فى محلها.

[۲۶۵] سورة البقرة: ۲ / ۱۲۷ – ۱۲۸.

[۲۶۶] الفرق: القسم من الشىء إذا انفصل عنه.

[۲۶۷] أى يتصايحون من الجوع.

[۲۶۸] صحيح البخارى ۴: ۱۷۳ – كتاب الأنبياء، الباب ۵۳.

[۲۶۹] سورة الكهف: ۱۸ / ۹.

[۲۷۰] مجمع البيان ۶: ۶۹۷ – ۶۹۸.

[۲۷۱] سورة آل عمران: ۳ / ۱۶.

[۲۷۲] سنن الترمذى / ۳۴۷۵.

[۲۷۳] الترغيب والترهيب / للمنذرى ۲: ۴۸۵.

[۲۷۴] الصحيفة السجادية / الدعاء ۴۹.

[۲۷۵] أخرجه مالك فى (الموطأ) والبخارى ومسلم فى الصحيحين، أنظر: سير أعلام النبلاء ۲ : ۳۱۳، ۴: ۴۲۰.

[۲۷۶] مسند أحمد ۵: ۱۹۵.

[۲۷۷] صحيح مسلم / ۲۵۴۲.

[۲۷۸] انظر: سير أعلام النبلاء ۴: ۲۰ – ۳۲.

[۲۷۹] سير أعلام النبلاء ۴: ۳۲، تاريخ الاسلام ۲: ۱۷۴، ۱۷۵.

[۲۸۰] سورة النساء: ۴ / ۶۴.

[۲۸۱] سورة المنافقون: ۶۳ / ۵.

[۲۸۲] زيارة القبور: ۴۱ – ۴۲.

[۲۸۳] صحيح البخارى / كتاب الاستسقاء، باب ۶۴۳، صحيح مسلم / كتاب صلاة الاستسقاء.

[۲۸۴] سنن أبى داود ۴: ۲۳۲ – كتاب السنة.

[۲۸۵] دلائل النبوة ۶: ۱۴۰ – ۱۴۲، شفاء السقام: ۱۷۰ – ۱۷۱.

[۲۸۶] زيارة القبور: ۴۲.

[۲۸۷] مسند أحمد ۴: ۱۳۸. الجامع الصحيح للترمذى ح / ۳۵۷۸ – كتاب الدعوات، سنن ابن ماجة ح / ۱۳۸۵.

[۲۸۸] التوسل والوسيلة: ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳.

[۲۸۹] التوسل والوسيلة: ۱۰۵ – ۱۰۶.

[۲۹۰] التوسل والوسيلة: ۹۲، وكتاب الزيارة / لابن تيمية أيضا: ۴۷ – المسألة الرابعة.

[۲۹۱] التوسل والوسيلة: ۲۰، كتاب الزيارة: ۸۶ – المسألة السابعة.

[۲۹۲] سورة الروم: ۳۰ / ۴۷.

[۲۹۳] سورة الفرقان: ۲۵ / ۱۶.

[۲۹۴] زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: ۳۹ – ۴۰.

[۲۹۵] زيارة القبور: ۱۸.

[۲۹۶] زيارة القبور: ۲۴ – ۲۵.

[۲۹۷] انظر: زيارة القبور: ۲۶ – ۳۷.

[۲۹۸] راجع: الاحكام / للآمدى ۱: ۳۱۲، موسوعة الاجماع فى الفقه الاسلامى / سعدى أبو حبيب ۱: ۳۱.

[۲۹۹] المحلى ۷: ۱۶۵ – ۱۶۶.

[۳۰۰] أسد الغابة / ترجمة العباس.

[۳۰۱] اقتضاء الصراط المستقيم: ۳۷۳.

[۳۰۲] المصنف / لابن أبى شيبة ۱۲: ۳۱ – ۳۲.

[۳۰۳] شفاء السقام: ۱۷۲.

[۳۰۴] زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: ۳۷ – ۴۳.

[۳۰۵] الدبيلة: دمل كبار تظهر فى الجوف وتقتل صاحبها غالبا.

[۳۰۶] انظر: التوسل والوسيلة: ۹۷، ۹۸، ۱۰۱ – ۱۰۳.

[۳۰۷] التوسل والوسيلة: ۱۸.

[۳۰۸] انظر: الميزان فى تفسير القرآن ۵: ۳۳۳ – ۳۳۴.

[۳۰۹] الكفعمى / البلد الأمين: ۳۶۹، عن ابن بابويه.

[۳۱۰] تاريخ بغداد ۱: ۱۲۳.

[۳۱۱] الخيرات الحسان / لابن حجر: ۹۴.

[۳۱۲] الخيرات الحسان / لابن حجر: ۹۴.

[۳۱۳] تاريخ بغداد ۱: ۱۲۰.

[۳۱۴] تاريخ بغداد ۱: ۱۲۲، وصفوة الصفوة / لابن الجوزى ۲: ۳۲۱ / ۲۶۰.

[۳۱۵] وفيات الأعيان ۵: ۲۳۲.

[۳۱۶] الطبقات الكبرى ۱: ۷۲.

[۳۱۷] مناقب الإمام أحمد بن حنبل / لابن الجوزى: ۴۰۰، ۵۶۳.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹